انتحار شرعي

اســـم الكتـــاب: انتحـــار شرعـــي

التـأليـــف: ســـارة خمـــيس

نـــوع العمـــل: روايـــة

مراجعة وإخـراج فنـي: سالم عبد المعز سواح (عمرو سواح)

رقـــم الإيـــداع: 2021 / 26484

الترقـــيم الـــدولي: 978-977-835-273-3

النـــاشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر

Facebook



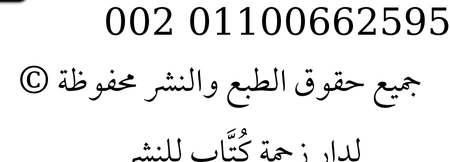
Email za7ma.kotab@gmail.com



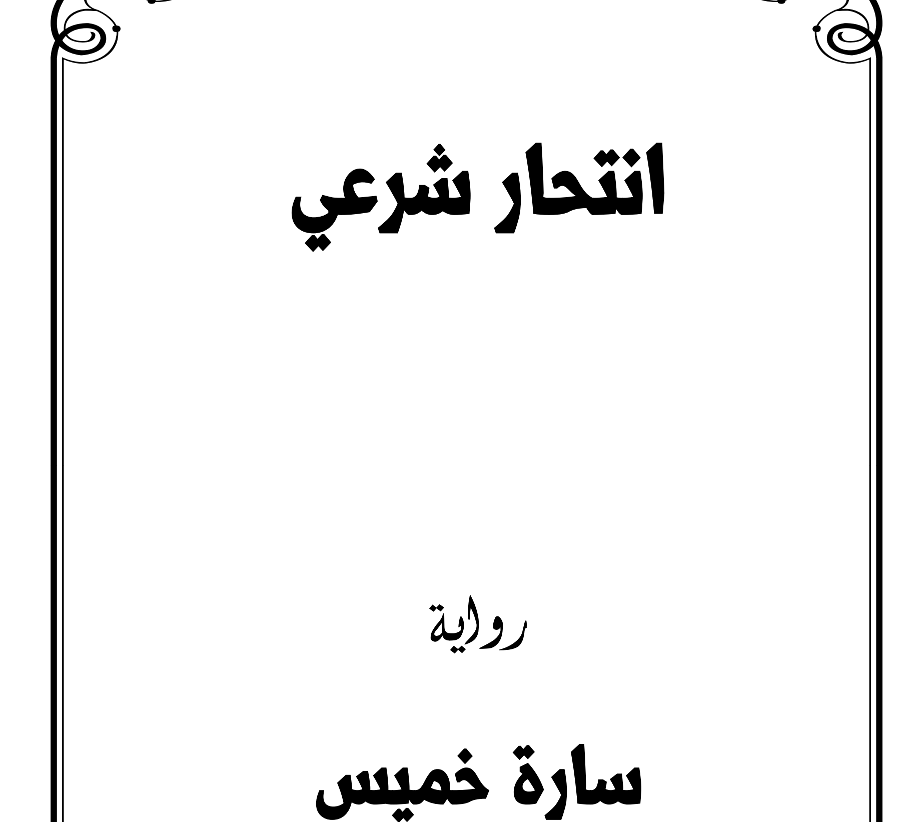


Tel 002 01205100596

002 01100662595







انتحار شرعي

رواية

سارة خميس



إلى هؤلاء..

الذين اعتادوا على الفراق والخذلان بسبب توالي الخيبات.

الذين اكتسبوا مناعة ضد الأحداث السيئة.

الذين عزفوا عن الأحاديث اليومية السطحية.

الذين زاحمت الأوجاع قلوبهم

فلا عادت قلوبهم تهوى ولا باتت تشتهي أو تشتاق

أعانكم الله على مواصلة الحياة بابتسامة، وعلى ضجيج قلوبكم..



قبل أي شيء، أريد أن أشارككم أمرًا ما، لم أخبره لأحدٍ من قبل حتى المقربين؛ في أثناء تأليفي لتلك الرواية حدث شيءٌ غريبٌ؛ عندما وصلت إلى منتصف الأحداث بدأ حلمٌ مزعجٌ يطاردني، كان دكتور يونس -وهو بطل الرواية- يظهر أمامي فجأة وكأنه يقف بجوار فراشي ويحملق في وجهي بعينين جاحظتين ومخيفتين قائلًا: "لا تكملي هذه الرواية.............!".

الغريب أن الحلم تكرر، ولكن على الرغم من قلقي وكثرة التفكير فيه، لم أتوقف عن الكتابة، ولكنني في حيرةٍ مما حدث لأنه ولأول مرة كان يحدث.

تُرى.. هل حدث ذلك بسبب فرط تأثري بشخصيته؟!

أم إنني أصبت بالجنون! أم إنه مجرد كابوس؟!

تُرى.. هل هو شخصية موجودة بالفعل وحدث ما يشابه التواصل العقلي بيننا؟!

رجاءً.. من يزوره دكتور يونس في أحلامه.. لا يتردد في إخباري.

مع تمنياتي بأحلام سعيدة

سارة خميس

*****

السبع الموبقات

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله - ﷺ - قال:

"اجتنبوا السبع الموبقات"، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟

قال: " الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ".

أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

الموبقات: هي كبائر المعاصي، لأنهن مهلكات.

ذكر الرسول – ﷺ– الشرك بالله في المرتبة الأولى لأنه أعظم الكبائر، هو المهلك الذي ليس معه رجاء إذا مات الإنسان عليه.

والسحر من الشرك، لأنه عبادة للجن والاستعانة به في إلحاق الأذى بالآخرين.

وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق: والحق هنا كالزاني المحصن الذي أوجب الشرع قتله بالرجم حتى الموت، وكقاطع الطريق.

أكل الربا: وهو من يتعاطى الربا المحرم كربا النسيئة وربا الفضل وهو تقاضي ثمن الشيء مضاعفًا عن سعره إلى أجل مسمى.

ثم ذكر **أكل مال اليتيم**، الذي يتوجب علينا الإحسان إليه وحفظ ماله.

والتولي يوم الزحف: وهو هجر المسلم ميدان المعركة وقت الحرب.

وأخيراً قذف المحصنات الغافلات المؤمنات: مَن ادعى كذبًا على امرأة صالحة بالزنا أو سوء السمعة وهو كاذب.

هؤلاء السبع مصيرهم الهلاك في الآخرة، عذاب جهنم وبئس المصير.

فما هو مصيرهم في الدنيا؟

إن الله يبعث لهؤلاء مؤشراتٍ يوجه بها من ارتكب تلك الكبائر حتى يتسنى له الوقت ليتوب ويعود عن فعلته، إن الله غفورٌ رحيم، فمنهم من يرجع إلى رب العباد، ومنهم من يتمادى في فعلته فتظلم دنياه ويسلب منه الكثير من الخيرات، كالصحة والبركة والرضا، وصحوة الضمير، يظل في عتمته إلى يوم البعث والحساب الأعظم.

وهناك فرق بين السبع الموبقات وبين الخطايا السبع المميتة أو (الذنوب الكاردينالية) التي استخدمت للتوعية منذ ظهور المسيحية، فالخطايا السبع هي كل ما يدفع بالإنسان للوقوع في الخطيئة فهي نابعة من داخل الإنسان ومتصلة بمشاعره وأخلاقه وسميت بالخطايا المميتة لأنها تؤدي إلى الهلاك وتدمر حياة النعيم.

والخطايا السبع هي: الغرور، الجشع، الشهوة، الحسد، الشراهة، الغضب، والكسل.

مَن منا بلا خطيئة؟!

لا يوجد من هو معصوم من الخطأ، ولكن ما هو حجم هذا الخطأ؟!

وهل تاب وأقلع عنه أم كرره مرات عديدة؟!

هل زال أثره عن الآخرين أم ما زال مستمرًّا؟!

نعم "الآخرين" الذين ارتكبت في حقهم تلك الموبقات أو الخطايا، علمنا مصير مرتكبيها فماذا عن من ارتكبت ضده تلك الأفعال، ماذا عن أهل المشرك؟

ماذا عن من أصابه الضرر نتيجة ممارسة السحر الأسود عليه؟!

ماذا عن تلك المرأة المحصنة التي طعن أحدهم في شرفها وأخلاقها؟!

ماذا عن من قتل غدرًا؟!

ماذا عن اليتيم الذي أصابه الخذلان والألم نتيجة استباحة حقه من قبل شخص يثق به وهو كل ما تبقى له من أهله؟!

ماذا عن تارك أرض معركته خائفًا ولحق به وبأهله العار؟!

ماذا عن المرابي؟!

*****

أزمة ثقة

الظلام حالكٌ بتلك الغرفة الضيقة التي تفوح منها رائحة العفن، تمر الأيام بها بثقلٍ وبطءٍ فلم أعد أحسب عدد الأيام والساعات التي أقضيها بداخلها، جدرانها السوداء طبعت ذلك اللون داخل قلبي فأصبحتُ أشعر بالبؤس واليأس دون أمل، أكاد ألتقط أنفاسي بصعوبة وكأنني أعيش على كوكبٍ آخر انعدم فيه الهواء وكل مظاهر الحياة، أصبحت الحياة قاسية وبلا معنى، وأنتظر كل يوم شعاع الشمس الخافت الذي يتسرب من بين فتحات النافذة الحديدية في الأعلى لأعبث قليلًا بكتبي وأوراقي لتجاوز بعض الوقت، أكتب والقلم ينزلق من بين أصابعي من شدة التعرق الذي أغرق فيه طوال الوقت من أول خصلة بشعري حتى إصبع قدمي، وكل لحظة أمسح نظارتي حتى يتسنى لي رؤية ما أدونه بين سطوري.

بدايةً أحب أن أعرفكم بنفسي وعن طبيعة عملي.

أنا د.يونس، طبيب أمراض نفسية، أعمل في مستشفى كبيرٍ بعيدٍ عن ضجيج المدينة، في العقد الخامس من العمر، أقطن في مدينة القاهرة بحي الزمالك وحيدًا، أضعت أعوامي في الدراسة والانخراط في العمل ومعالجة المرضى فعزفت عن الارتباط، يمكنكم قول إنني من كثرة ما واجهت من مشكلات، أصبحت معقدًا من تكوين أسرة، أراكم تبتسمون وتقولون: "طبيب أمراض نفسية وهو مريض ولا يقوى على

علاج نفسه"، أوافقكم الرأي فأنا لا أستطيع علاج نفسي، لكنني متمكنٌ في علاج الآخرين، ففاقد الشيء يعطيه، يعطيه وبكثرة يا سادة.

كانت حياتي تسير على ما يرام طوال الأعوام الماضية، أعالج مرضاي بكلّ حبٍّ، وأتفانى في ذلك، كنت أشعر أنهم أهلي وجزءٌ مني، لم أكتب يومًا لشخص منهم أدوية لتحسن حالته، كنت ألجأ دائمًا لجلسات الدردشة العادية وكأنني صديقٌ مقربٌ إليهم، أحيانا الفضفضة من وقتٍ لآخر تخفف ألم الحياة وتشعرنا بالراحة ولو بشكلٍ مؤقت.

في الآونة الأخيرة لاحظت شيئًا ما، وهو أن أكثر المرضى الوافدين إلى المشفى يعانون من اكتئابٍ حادٍّ ناتجٍ عن انعدام الثقة في كل من حولهم.

حالات بالعشرات وكان علاجهم هو الأصعب من وجهة نظري، فانعدام الثقة تجعلك تعيش وحيدًا داخل بؤرةٍ تخصصها لنفسك ولا يحق للمحيطين بك الاقتراب منها.

انعدام الثقة في الآخرين لا يعود مجددًا، مهما حاولنا تجاوز الخيبات، مهما تعاملنا مع أشخاصٍ رائعين، فلن نغامر بالإصابة بالخذلان والخيبة مرة أخرى.

لا أخفي عليكم سرًّا، أنا أيضًا ممن يعانون من تلك الأزمة **"أزمة ثقة"،** لا تسخروا مني مرةً أخرى، أصبح شيئًا طبيعيًّا في مجتمعنا الآن، مَن منا لم يخذله أحدهم ويخيب أمله؟!

أنت يا من تقرأ.. نعم أنت.. أتحداك أن تكون مثلنا، وأن أحدهم خذلك وخيب ظنك فيه، ونحر قلبك بسكينٍ باردٍ فجعلك مفتقدًا لمعنى الثقة مرة أخرى فيمن حولك.

أتحداك أنك تسيء الظن بالآخرين حتى يثبت العكس، فلا تسخر مني مرة أخرى.

شعوري بهؤلاء المرضى جعلني أخصص وقتي كله لهم، وزاد شغفي بالبحث عن طرق علاج مناسبة تعيد إليهم رغبتهم في الحياة والتعايش مع الآخرين والاقتراب منهم دون خوف ولكن (بكل حذر).

يزداد عدد الحالات، لا يريدون سوى شيءٍ واحد، هو الابتعاد... الابتعاد والصمت بعيدًا عن وجوه الحياة المزيفة، تفاديا للصدمات التي يبقى أثرها مميتا بداخلنا.

كنت أجلس معهم وأسمعهم جيدًا وهم يقصون قصصًا متنوعة عن الكذب والخداع.

بعض المرضى كان رد فعلهم إيجابيًّا في تلك الجلسات وشعرت أنه يمكنني علاجهم بسهولة، والبعض الآخر كانوا لا يتحدثون معي بصدق، كانوا يبتكرون قصصًا أخرى غير التي تعرّضوا لها حتى يوحي أحدهم لنفسه أن هذا ما حدث وأنه لم يتعرض لتلك الصدمة.

لكن سرعان ما كنت أكتشف كذبتهم ومن الوهلة الأولى، فكانت رسالة الدكتوراه الخاصة بي موضوعها عن (كيفية اكتشاف الشخص

الكاذب) وبمجرد النظر إلى عينيه وحركة الشفاه، أرى الفضول قد أصابك أيها القارئ الآن، أتريد معرفة كيف تكشف صدق أو كذب من يتحدث معك؟!

بالتأكيد تريد معرفة ذلك... حسنا سأخبرك.. ولكن أولًا دعنا نتفق أننا جميعًا نلجأ إلى الكذب أحيانًا، ولكن تختلف كذبة عن الأخرى، فهناك كذبة تدمر حياة إنسان وهناك كذبة تعيد له الحياة.

هناك أمثلة كثيرة لن أتطرق إلى ذكرها الآن، فلدي ما هو أهم لأقصه عليكم.

لكن في البداية سوف أذكر بعض العلامات التي تثبت صدق أو كذب من يتحدث:

١- اطرح على أحدهم سؤالًا.. فإذا قام بالإيماء برأسه يمينًا ويسارًا أو في أي اتجاه، تأكد أنه سيكذب بعدها.

٢- التوتر والخوف يزيد من سرعة ضربات القلب فيجعل من يجلس أمامك يشعر بالاختناق ويلتقط أنفاسه بصعوبة فيبتلع ريقه أحيانًا أو يلتقط نفسًا عميقًا قبل الإجابة، وعندما يجيبك يكون مستوى صوته منخفضًا تمامًا وكأنه يهمس، وإما أن يصيح في وجهك ليثبت عكس موقفه الضعيف.

٣- ثابت الحركة.. يكون الشخص الكاذب ثابتًا في حركة جسده، بل إنه لا يستخدم لغة (body language) لأن لغة الجسد تدل على

زيادة معدل الثقة بالنفس والتعبير التلقائي عما يدور بداخل هذا الشخص، وثبات الحركة لا يمت بصلة للثبات الانفعالي فشتان بينهما.

٤- تكرار الإجابة على السؤال أكثر من مرة، محاولا تأكيد كذبته لنفسه أولًا ليصدقها ومن ثم يستطيع إقناع الآخرين بها.

٥- يميل الشخص الكاذب عادةً بملامسة أنفه أو فمه للحظة أو يغطي جزءًا من جسده بشكلٍ لا إرادي أو يلوح بيده بشدة نتيجة التوتر الذي يصيبه من الداخل ويحاول أن يبدو أقوى مما هو عليه.

٦- كرر سؤالك نفسه وستتفاجأ بتغير الإجابة، لأنه ببساطة ينسى كذبته فيبتكر أخرى، كما يقولون في الأمثلة الشعبية (الكذاب نساي) وذلك صحيح مائة بالمائة.

٧- انظر إلى عينيه جيدًا وستجده لا يرمش إلا قليلًا وتكون حدقة العين في وضع ثابت.

لقد انتهيت من ذكر بعض العلامات ولكن إثباتها ليس بأمرٍ سهل، فتحتاج الكثير من الدراسة والممارسة، ولكن مبدئيًا إذا وجدتموها جميعًا في شخصٍ يتحدث معكم، فاعلموا أنه كاذب.

دعونا نعود إلى المرضى المصابين بأزمة الثقة أو الاكتئاب الناتج عنها، أجلس معهم واحدًا تلو الآخر، العشرات منهم ولكن استوقفني ست حالات رفضوا التفوه بكلمة، حاولت معهم مرارًا وتكرارًا ولكن دون جدوى، أصبت بالحيرة من أمرهم.

ترى ماذا حدث معهم ليفضلوا العزلة والصمت هكذا؟!

ليس أمامي الآن سوى طريقةٍ واحدة وهي تحديد جلسة جماعية معهم في آنٍ واحدٍ لعل أحدهم يشجع الآخر على سرد حكايته.

بالفعل فعلت ذلك وجلست معهم في غرفةٍ واسعةٍ وهادئةٍ ووضعت سبعة مقاعد لكل منا على شكل دائرة، وقررت أن أقضي يومي كله محاولًا حثهم على التحدث. ثم استجوبتهم بالترتيب، من يجلس أول الصف بجواري ثم من يليه.

الأول رجل في مثل عمري تقريبا، يدعى حامد.. يمسك بيده مسبحة كبيرة ويسبح عليها بشكل سريع دون أن يحرك فمه، يحدق بنظره إلى الأرض وتمتلئ عيناه بالدموع ولكنه يأبى أن يبكي أمامنا.

*****

الـشــرك بالله

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾

[النساء: ٤٨]

نظرتُ إلى حامد ثم تحدثت إليه بهدوء قائلًا:

- حامد.. جميعنا بداخلنا ألم، نحن سبعة أفراد، كل منا بداخله قصة حزينة، صدقني سيفيدك كثيرًا التحدث وأيضًا ستكون خطوة إيجابية تدفع الآخرين للتحدث، أرجوك حاول أن تساعدني في علاجك وعلاج أصدقائك، تحدث يا حامد ولا تخشَ شيئًا.

ارتجف جسد حامد بشدة، وتوقف عن تحريك المسبحة في يده ونظر إليّ بعينيه الدامعتين ثم نظر إلى بقية المرضى بتمعن.

كررت جملتي بهدوء:

- هيا يا حامد تحدث، نحن جميعًا مُصغون لك باهتمام.

ثم وجهت حديثي للآخرين قائلًا:

- ألستم تريدون معرفة قصته وستحاولون تقديم المساعدة له معي، هيا أجيبوني!

أومأ الجميع برأسه ونظرنا جميعنا إلى حامد منتظرين أن يتفوه بكلمة.

وبعد لحظاتٍ قليلةٍ سقطت دموعه بشدةٍ ثم بدأ حديثه بصوتٍ حزينٍ مرتجف:

- "الجميع يلقبونني بالشيخ حامد، فأنا إمام مسجد الحي الخاص بنا، ومن تلامذة الأزهر الشريف، تخصصت في أصول الدين والدعوة وتفوقت على نفسي حتى أصبحت معيدًا بجامعة الأزهر، ودرست للطلبة، أعلمهم مبادئ ديننا الإسلامي، وأزرع بهم أخلاقيات تربوية لتكون سمة الشاب المسلم.

تزوجت زواج الصالونات كما يقولون، رشحها لي أحد أخوتي فكانت هي جارة لهم في قريةٍ بالأرياف.

كانت من أسرة ملتزمة، وعلى خلقٍ وترتدي النقاب فلم يتسنَّ لي رؤيتها إلا في يوم الزفاف، كان جمالها مقبولًا ورضيت بها زوجة لي وأمًّا لأبنائي فيما بعد.

كانت حياتنا مستقرةً هادئةً وكانت ترضى بالقليل معي وشكرتُ الله كثيرًا عليها.

بعد عامٍ من زواجنا رزقنا الله بطفل، وبعدها بعامين رزقنا بالآخر وأصبح لدي ولدان هما محمود ومحمد، منذ نعومة أظافرهما حاولت توجيههما إلى الطريق المستقيم بقدر علمي.

كنت أرتل القرآن الكريم أمامهما بصوتٍ عال، ثم أطلب منهما تقليدي بنفس التجويد والترتيل.

علمتهما أحكام القرآن الكريم وكان أملي أن يصبحا مثلي في يومٍ من الأيام حاملين لكتاب الله وسنة رسوله.

الأكبر هو محمود كان مطيعًا لي ويحاول كسب محبتي وثقتي به بشتى الطرق وعندما طالبته بالالتحاق بالجامعة نفسها التي درست بها لم يتردد لحظة وبالفعل أصبح طالبًا أزهريًّا متميزًا عن باقي الطلبة في خلقه وتفوقه وسعة صدره، كنت أكاد أطير من فرط السعادة والفخر به.

أما محمد فكان عنيدًا مدللًا، كان قريبًا من أمه عني، كنت دائم التوبيخ له لإصراري الشديد على أن يكون مثلي ومثل أخيه محمود، كان يثير غضب محمود دومًا متعمدًا ذلك، فكانت نظراته إليه لا تحمل أي محبة، وكانت تصرفاته مستفزة لدرجة أن "محمود" كان يتهرب من البقاء في المنزل حتى لا يراه ويعود في وقتٍ متأخرٍ حتى ينام مباشرة، ولم يسلم حتى منه بعد أن فعل ذلك.

رفض أن يلتحق بالجامعة نفسها ولكنني أرغمته على ذلك آملًا أن ينصلح حاله مع الوقت.

ومن أول عام بالجامعة كان فشله فاجعة بالنسبة لي ولوالدته، وكان يحملني أنا نتيجة فشله، فأنا السبب في التحاقه بجامعةٍ لا يرى مستقبله بها.

قطعت عنه سبل الترفيه كلها، وأرغمته على المكوث في المنزل مع والدته وحذرتها من إعطائه أي نقود أو أن يخرج من المنزل دون علمي.

ظل الوضع على هذا الحال قرابة شهر في الأجازة الصيفية حتى عاد معتذرًا في يومٍ ما وأقسم على أن يحاول تغيير نفسه إلى الأفضل.

سعدت كثيرًا؛ وفرحت باستجابة ربي لدعائي بالهداية له، وسمحت له مرة أخرى بالخروج مع أصدقائه وسلمته الهاتف الخاص به وجهاز اللاب توب.

شعرت بهذا التغيير بالفعل حينما ابتعد عن إثارة غضب أخيه كالسابق، وكان يتركه يجلس في هدوء وحيدًا في أثناء تلاوته القرآن الكريم فكان لمحمود وردٌ يوميٌّ لا ينساه أبدًا.

محمد ومحمود هما الزخر والكنز والسند في هذه الحياة، لا أملك سواهما، الجميع تلهيه الحياة مع أهل بيته وعمله، الأقارب توقفوا عن الزيارات العائلية، توقفوا عن السؤال عبر الهاتف حتى، ثم توقفوا عن إرسال بعض الرسائل لتكون ذلك نهاية لعلاقتنا بهم.

الأصدقاء منشغلون دائمًا، وليس بينهم من يتفانى بوقته لأجلك، طغت المجاملات الكاذبة على الجميع، أصبح الجميع يعيش داخل عالم خاص به ولا يشارك به أحدًا.

توقف حامد عن الحديث فتعجبتُ قائلًا:

- حسنا حامد، هذا كل شيء؟ أين المشكلة؟ لماذا كل تلك التعاسة والأسى؟ لا شيء يدعو للحزن والاكتئاب مما قصصته الآن؟

عاد حامد للحديث مجددًا بعد أن شرب كوبًا من الماء ليحاول أن يهدأ قليلًا ثم قال:

- ليس هذا كل شيء، فالقادم مؤلم، مؤلم إلى حد الموت.

ارتبكت قليلًا ولكن أومأت له بتكملة حديثه.

ساد الصمت للحظات ثم قال:

- "كان محمد يجلس وحيدًا بالساعات، وحينما أسأل عنه كانت والدته تقول: الحمد لله يجلس وحيدًا متأملًا أحيانا أو يقرأ بعض آيات القرآن الكريم وأحيانًا أخرى يقرأ بعض الكتب الخاصة بالجامعة لعله يجتاز اختبار المرحلة القادمة.

طرقت الباب ودخلت غرفته ووجدته بالفعل يقرأ آيات القرآن الكريم، كاد قلبي يخرج من صدري من فرط السعادة ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أضمه بين أحضاني.

تقرب إليه أخوه محمود وأصبحت علاقتهما مترابطة كأخين مثاليين، عادت السعادة والاستقرار إلى المنزل.

مرت الأعوام وتخرج كل منهما في الجامعة.

تقاعدت من مهنة التدريس بالجامعة نظرًا لتدهور حالتي الصحية بصورة مفاجئة فكان قلبي ضعيفًا ولم أكتشف ذلك منذ أعوام وتركت أبنائي للعمل لتكملة مسيرتي واكتفيت بإمامة أحد المساجد وتعليم أصول الدين به لمن يرغب لوجه الله تعالى.

ساعدني كل من محمود ومحمد في سد متطلبات المنزل، وفي يوم جاء محمود ليتحدث معي عن إمكانية السفر والعمل بإحدى الدول العربية في نفس مجاله في التدريس، لم أقوَ على الرفض إذ كان ذلك سيحسن من مستوى معيشته ويساعده على بناء أسرة مستقلة خاصة به، كنت لا أخشى عليه من شيءٍ فهو صاحب عقل كبير وأخلاق عالية لا يمكن لأحد المساس بها.

عارضه أخوه كثيرًا طالبًا منه عدم تركه وحيدًا أو إمكانية الذهاب معه ولكنه رفض حتى يكون باله مطمئنا علينا وهو يراعي شؤوننا.

بالفعل سافر محمود وحزنت كثيرًا على فراقه فلن أراه إلا شهرين في العام، افتقدته كثيرًا فيزال هو الأقرب والأفضل لديّ، واستمر محمد في العمل بل إنه تطرق إلى الدراسات العليا وتقدم للحصول على درجة الماجستير، كنت فخورًا به وكم أنه خيب ظني على اعتباره الابن العاق في يومٍ من الأيام.

مر عام وحان الوقت للقاء محمود فقد عاد لقضاء عطلته السنوية معنا، وما إن دخل المنزل رأيته وكأنه شخصٌ آخر؛ تغير كليًّا فبعدما كان يرتدي زي الأزهر كان مرتديا قميصًا حريرًا على بنطال جينز ضيق

وغيّر طريقة تصفيف شعره. أصبت بالضيق والدهشة ولكن لهفتي عليه طغت على هذا الشعور.

كان يتهرب من الجلوس معنا وحتى تناول الطعام معنا فضاق بي صدري وأسرعت إلى غرفته للتحدث معه.

= ماذا حل بك يا بني؟! فجأة انقلب حالك بعد عودتك من الخارج، نزعت عنك زي الأزهر الذي يتباهى به الكثيرون، أصبحت غريبًا معنا رغم تعلقك الشديد بنا، لا تتحدث ولا تأكل، ماذا حل بك أخبرني بحق الله؟!

نظر إليّ بغضبٍ قائلا:

- كفاكم جهلًا يا أبي.

صدمت مما قال وعدت متسائلًا:

- ماذا تقول؟ كيف تتحدث معي هكذا؟!

نظر إليّ بعينين باردة المشاعر منزوعة الرحمة قائلًا:

- تستحق تلك الطريقة بل أكثر.

صحت به بصوتٍ عال سمعه أخوه ووالدته فدخلا مسرعين وأنا أقول: إذا كنت لا تطيق العيش معنا فلماذا عدت إلى هنا؟!

- جئت لمدة قصيرة حتى يدبر أصدقائي مكانًا أعيش فيه بعيدًا عنكم وقررت عدم المغادرة مرة أخرى فلدي رسالة هنا يجب عليّ إتمامها.

زادت حدة حديثي وغضبي وأمسكته من قميصه بشدةٍ قائلًا:

- ماذا تقول؟! هل تجندت مع الإرهابيين، هل غواك أحدهم تحت شعار الجهاد في سبيل الله؟!

ضحك بسخريةٍ قائلًا:

- الجهاد في سبيل ماذا؟ هاهاهاها؟! مساكين، ليس هناك ما يسمى الله، والخالق، لقد تربيت معكم على أكذوبة كبيرة اسمها الخوف منه، أضعت سنين عمري في الدراسة والعمل في علوم الدين الإسلامية وبالنهاية اكتشفت أن كل ذلك وهم كبير، والحياة أجمل وأبسط من ذلك.

بكيت بشدةٍ ووقعت على المقعد المجاور ممسكًا بقلبي الذي كاد يتوقف من الصدمة.

صرخ محمد في وجهه:

- ماذا تقول؟ أكفرت بالله؟ كيف خدعوك هكذا وأنت حامل لكتابه؟ من أنت؟!

ضحك بسخريةٍ مرةً أخرى:

- من أنا أيها التافه البائس؟ انظر حولك، إذا حدث معك شيء مبهج يقولون هذا رضا وفضل من الله، وإذا وقع بك مكروه يقولون إنه منك، نعم منك والمبهج منك، كل شيء منك، أنت الذي تتحكم في مستقبلك ومصيرك بل أنت الذي حددت ماضيك أيضًا، أين الإثبات

المادِّي لوجود معبودك؟ أين الإثبات لوجود حياةٍ أخرى بعد الموت؟ تلك خرافات مبتدعة من قبل المصريين القدماء، لا يوجد ما يسمى البعث، لا يوجد حساب، نحن خلقنا هكذا من أب وأم منذ بدء العالم، أب وأم مثلنا وهما أوْلى بالعبادة وكل نوع من المخلوقات أوْلى بالعبادة نحن تكاثرنا من بعدهما وبفضلهما وبالتأكيد يراقباننا من السماء وعلينا أن ننعم بالحياة كما هي ولا نخشى شيئًا بها.

لكمه محمد بقوةٍ على وجهه وصرخ قائلًا:

- استغفرِ الله وتبْ إليه لعله يتقبل منك، من الذي ذهبت إليه وفعل بك كل ذلك؟ من؟!

مسح محمود بيده الدم المتساقط من فمه ثم قال:

- ذهبت لمن يستحقون العيش معهم، أصدقائي الأعزاء الذين أناروا بصيرتي بالحق وسأذهب للعيش معهم للأبد بعيدًا عنكم، وسنكمل المسيرة معًا لنشر الحقيقة بين جميع الشباب.

أسرع محمد خارج الغرفة ودخل مرةً أخرى ممسكًا بيده سكينًا حادًّا طعن به محمود وهو يصرخ باكيًا:

- لن تستطيع فعل ذلك يا محمود، لتمت وأنت كافر، لتنل جزاءك في الدنيا وفي الآخرة، لتذهب الآن إلى جحيمك لتتأكد من وجود الله، ومن وجود الثواب والعقاب، أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٧]

قتل محمد أخاه "محمود" الذي وثقت به وأتى إليّ بتلك الخيبة، بل بتلك الفاجعة، لم يترك لي بعض الوقت حتى أعيده إلى رشده، كان من الممكن إصلاح ما حدث ولكن بهدوء وتريث، ولكنّ "محمد" أفسد كل شيء بغضبه من أخيه ظانًّا أن لن يقدر عليه أحد، خسرت الاثنين، فأحدهما قُتل والثاني سُجن إلى وقتٍ غير معلوم، ووالدتهما ماتت من الحزن بعدها بشكلٍ مفاجئ.

خسرت كل شيء، خسرت من كرست حياتي لأجلهما ولتربيتهما، لمن لا أملك سواهما في هذه الحياة، لمن وثقت بهما وكيف لا أثق في فلذة كبدي.

حاولتُ الانتحار بعدها ولكن تذكرت الله فخشيت عذابه، والآن أعيش ولا أعيش، جسدٌ بلا روح، دمعٌ بلا طعم، حياةٌ دون حياة، فكيف لي أن أستمر هكذا وليس لدى الأطباء علاج لما أنا فيه، سيعجز الجميع عن ترميم جراحي، فأين المفر؟!".

اجهشّ حامد بالبكاء وأبكانا جميعًا معه..

عجز الكلام عن الكلام.....

كيف لأقرب الناس أن يخذلونا هكذا وبمنتهى الأريحية.

ولماذا تأتي الضربة دائمًا من أقرب الناس إلى قلبنا؟!

وكما قيل "حين أصاب السهم قلبي لم أمت، ولكني مت حين رأيت من رماه".

كيف لي أن أضمّد جراحه وأعيد إليه الحياة والثقة بمن حوله مرة أخرى.

كيف لي أن أنتشله من كل هذا الحزن؟!

أخجل من قول الحياة بها الكثير لتعيشه فقد عاش أسوأ ما بالحياة.

"الثـــــــقة كـالإنـــسان، سنـــوات لــتكبر وثـــــوان لتــــموت"

مالكوم إكس

*****

السحر

قال تعالى:

﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

[يونس: ٨١]

حسنا من التالي؟

نظرت إلى المقعد المجاور للشيخ حامد فوجدت فتاةً جميلةً في مقتبل العمر تمسك بكلبٍ صغيرٍ وتحتضنه كالطفل الذي لا يشعر بالأمان، نظراتها ثابتة، وحدقة عينيها لا تتحرك تجاه أي شيء.

وجهت إليها حديثي بهدوء:

- هيا أيتها الأميرة، نحن جميعًا أصدقاؤكِ فلا تخشيْ أي شيء، واحتضني كلبكِ كيفما شئتِ فلن يسلبك أحدهم إياه أبدًا، هيا أخبرينا عن نفسك وعما حدث لك سابقًا، هيا تكلمي.

انكمشت قليلًا ورفعت كلبها لصدرها أكثر وبدأت حديثها بهدوءٍ قائلة:

- "اسميماريان، عمري ثمانية وعشرون عامًا.

نظر إليها الجميع في دهشة فعاودت حديثي معها قائلًا:

- مرحبا بكِ ماريان كأختٍ بيننا، كنت أعلم اسمك وديانتك من قبل فقد ذكر ذلك في ملفك بالمشفى ولكني أردت أن تخبرينا بنفسك حتى يتعرف إليكِ الجميع، هيا احكي قصتك.

ساد الصمت قليلًا ثم بدأت ماريان في الحديث:

- أنا فقط لا أريد أحدًا، ولا أصادق أحدًا، فقط أريد كلبي روميو.

تعجبت من أمرها ثم حاولت إقناعها بالتحدث:

- حسنا ماريان لن يرغمك أحدنا على التحدث ولكننا اتفقنا مسبقًا إننا سنساعد بعضنا البعض على تخطي بعض الألم بداخلنا، وذلك من خلال التحدث فقط، تحدثي ولا تصادقي أحدًا بعدها ولا تقتربي من أحد، أعدك بذلك.

أومأت برأسها ثم قالت:

- "قصتي على قدر بشاعتها فهي تكاد تكون مرعبةً ومخيفة، ما مررت به ليس كالجميع، إنه نوعٌ مختلفٌ من انعدام الثقة، الرحمة، الولاء، انعدام لما تسمونه صلة الدم.

كنت أعيش كالبقية مع أسرتي الصغيرة، أبي، أمي، وأخي جرجس، نذهب معًا للصلاة في الكنيسة يوم الأحد بانتظام، نحب بعضنا البعض ونحاوط على بعضنا البعض، حتى جاء هذا اليوم الشؤم الذي مرضت به أمي، باغتها المرض الخبيث، سرطان الدم، وقبل أول جلسة كيماوي

كانت قد فارقت الحياة وكأنّ الرب أراد أن يصرف عنها عذاب ومعاناة العلاج بالكيماوي وذهبت لتنعم بالراحة إلى الأبد.

انقلبت حياتنا رأسًا على عقبٍ بعدها، فكان منزلنا لا يخلو من الاجتماعات الأسرية والاحتفالات والضحك الذي كان يحسدنا عليه جميع الجيران ولكن سرعان ما اختفى كل ذلك وبات المنزل مظلمًا بعد فراق حبيبة قلبي.

أبي كان ميسور الحال، صاحب عدة أملاك، وصاحب مصنع كبير للغزل والنسيج، كان يعمل جاهدًا لتوفير كل احتياجاتنا وكل سبل الراحة والمعيشة المترفة وكان أخي مهندس مساحة يكبرني بخمسة أعوام، أبي حثه على تعلم إدارة جميع أعماله حتى يكون بمثابة يده اليمين كما يقولون، وبعد مرور ثلاثة أعوام من وفاة أمي كنت قد تخرجت في كلية التربية وقتها وكنت أفكر في رحلة عمل جديدةٍ لي، حتى فوجئت في يوم شؤمٍ آخر بمرض أبي؛ كان يعاني من داء السكر منذ أعوام ولكن دون أن يعلم وفي ليلة عاد إلى المنزل منهك القوى، ظننت أنا وجرجس أنه مجرد إرهاق بسبب إدارة عمله الشاق ودخل بعدها غرفته ليغفو وينعم ببعض الراحة، وكانت راحة أبدية، داهمته غيبوبة سكر في أثناء نومه ولم يلاحظ أحد منا ذلك، كنا نظنه يحتاج إلى ساعاتٍ طويلةٍ من النوم، فتأخرنا كثيرًا عنه حتى ذهب إلى أمي للنعيم الأبدي.

لم أقوَ على تحمل الصدمة وعانيت من الانهيار الحاد لفترة طويلة وكان أخي يتولى أمري وقتها وحاول جاهدًا أن يحيطني بالحب حتى أفيق من صدمتي.

لملمت شتاتي بعد عدة أشهر ووعدت أخي أن أعود كما كنت ووعدني هو الآخر أن يعوضني عن حنان أبي وأن يوفر لي كل شيء اعتدت عليه.

وقسمت التركة فيما بيننا وأصبحت شريكة أخي بالنصف في المصنع وبقية الأملاك وبالنسبة للأرباح كان يضعها في حسابٍ خاصٍ بي في البنك حتى يحين موعد زفافي؛ لأشتري به كافة متطلبات الزواج.

ولكن أبيت الارتباط قبل زواج أخي وقرر هو الآخر الزواج من ابنة صديق أبي فيولا، سعدت كثيرًا بهذا الخبر وشعرت أنها ستكون بمثابة أخت وصديقة لي ولن أعيش وحيدة طوال اليوم.

فقد كنت أنتظر أخي كل ليلة حتى يعود من عمله، ولم أقوَ على البدء في أي عمل في ذاك الوقت نظرًا لحالتي النفسية وأقنعني أخي أنني لا أحتاج لذلك فلديّ الكثير من الأموال والدخل الثابت من مصنع أبي، وكان لدينا مربية ولكنّها كبيرةٌ في السن فكانت خادمة أبي وأمي منذ زواجهما كانت تدعى تريز وكانت منهمكة دائمًا في العمل في المنزل وتعود مساء كل ليلة إلى بيتها لمراعاة زوجها المريض.

بعد عدة أشهر تزوج أخي من فيولا وعرضت عليه أن أقيم في منزلٍ قريبٍ منه حتى يتسنى له الاستمتاع هو وفيولا ببعض الخصوصية لكنه رفض ذلك، وفيولا رفضت ذلك أيضًا قائلةً: لا تتركيني وحيدة في هذا المنزل الكبير مع العجوز تريز، فأنا أخشاها بشدة.

ضحكنا جميعًا واحتضنتها بقوة وشكرت الرب على نعمة الأخت والأخ في حياتنا.

أنجب أخي طفلًا جميلًا يشبهه وطلبت مني فيولا تسميته بنفسي فأطلقت عليه اسم أبي الغالي كيرلس، وأخيرًا أصبحنا أسرة مكتملة من جديد، كنت أعتني بكيرلس وكأنني أمه، وكانت فيولا تتنزه مع صديقتها هنا وهناك وتذهب إلى التسوق وإلى مركز التجميل دون أن تشغل بالها به، فكانت على يقينٍ أنه بين أيدٍ أمينة تحبه بجنون.

ذات يوم كنت أتجول بكيرلس في أحد المحال التجارية وكان يبكي بشدة، ولا أعلم السبب، أسرعت به إلى أقرب مشفى للأطفال وكنت أبكي من الفزع، طمأنني الطبيب وسألني: أين والده؟

أجبته: إنه مشغولٌ بالعمل ووالدته تزور بعض أقاربها.

اندهش الطبيب فكان يظنني والدته من كثرة تعلقي وخوفي عليه وأخذ يرمقني بنظرات إعجاب وطلب مني رقم هاتف أخي لمتابعة كيرلس والاطمئنان عليه.

وبالفعل اتصل بأخي وزارنا في المنزل بعدها بدعوة من جرجس وفوجئت في أثناء جلوسه معنا طلبه بالارتباط بي، رحب أخي كثيرًا، وأيضًا فيولا كانت سعيدة للغاية، وحددنا موعد الزفاف وطلبت من أخي بعض النقود لشراء احتياجاتي لبيتي الجديد، وعدني أن نذهب معًا لنشتري كل شيء وتمت الخطبة بعد عدة أيام.

كنت أشعر بالراحة والسعادة وبدأت في التقرب من خطيبي يومًا بعد يوم، وكانت فيولا تسهر معي كل ليلة تحتسي معي المشروب الساخن ونضحك معًا على ما يحدث بيني وبين زوجي المستقبلي.

في يومٍ كنت أجلس معه في مكان ما لتناول العشاء على ضوء الشموع والموسيقى الهادئة ولكن حدث أمرٌ غريبٌ تلك الليلة وكانت تلك هي البداية لأحداث مرعبة.

كنت أنظر إلى وجه خطيبي بحبٍّ فكان وسيمًا بصورة ملحوظة وفوجئت بيدٍ سوداء مخيفةٍ تحاول الالتفاف حول رقبته وقتله، فصرخت بصوتٍ عالٍ محذرةً إياه، ففزع هو وكل من كان يجلس في المكان ووقف الجميع ليشاهدوا ما يحدث ولكن كان كل شيءٍ عاد إلى طبيعته.

شعرت بالإحراج الشديد وأمسك خطيبي بيدي محاولًا احتوائي قليلًا قائلًا: لا تقلقي حبيبتي، وكأنّ شيئًا لم يحدث، فقد اهدئي فمن الواضح أنكِ لم تأخذي قدرًا كافيًا من النوم أو أنكِ تعانين من التوتر والقلق الشديد، فقط اهدئي، وهيا بنا إلى المنزل لترتاحي قليلًا.

وصلت إلى المنزل واعتذرت له عما فعلته فقبل يدي قائلًا: لا عليكِ.

دخلت من الباب فوجدت الصمت يخيم على المكان، كانوا جميعًا في سباتٍ عميقٍ ولكن ما زال الوقت باكرًا وكنت في أمسّ الاحتياج إلى التحدث مع فيولا، ولكن لا بأس، صعدت على الدرج بخفةٍ حتى لا يسمعني أحدهم وكان المنزل معتمًا فأنرت كشاف هاتفي حتى لا أصطدم بشيءٍ ولكن حدث أمرٌ عجيبٌ عندما أشعلت كشاف الهاتف؛ نظرت أمامي لأرى فجأة خيالًا أسودَ عملاقًا يقف على باب غرفتي، كانت عيناه حمراوين وكأنهما قطعةٌ من اللهب، كان يتنفس بصوتٍ مخيف وتكاد أنفاسه تصل إلى وجهي وشعرت بسخونةٍ تسير بجسدي، لم أقوَ على تحمل الفزع أكثر من ذلك ولم أشعر بعدها بشيء، لأجدني صباحًا على فراشي ويجلس بجانبي أخي وفيولا، تساءلت في دهشة: ماذا حدث؟!

قالت فيولا بحزن:

- حبيبتي حينما استيقظت باكرًا وجدتك مغشيًّا عليكِ أمام باب غرفتك وكان جسدك يرتجف بشدةٍ من البرد، كيف حدث ذلك، هل تعاطيتِ شيئًا ما أمس مع خطيبك؟!

صحت في وجهها:

- إلى ماذا تلمحين فيولا، أنا لا أفعل ذلك أبدًا، أنا فقط كنت.......

ولم أستطع ذكر ما حدث فلن يصدقني أحدهم أبدًا، فحاولت تبرير ذلك قائلةً:

لقد شعرت بالدوار فجأةً فيبدو أنني أصبت بالإنفلونزا لخروجي في هذا الطقس الممطر، والآن أشعر بالتحسن، دعوني أرتاح قليلًا إذا سمحتم.

قبلني أخي وفيولا وتركاني لأنام لبعض الوقت.

غفوت بالفعل وإذ بي أشعر بيدٍ دافئةٍ على وجهي ولكنها كانت ليست بالدفء العادي فكادت تحرقني ففتحت عيني لأتأكد من شعوري فوجدتها بالفعل يدًا دمويةً ملتهبةً تحاول كتم أنفاسي فحاولت الصراخ بقوةٍ لكن لم أستطع فكانت تلك اليد تمسك بفمي وتحرق كل جزءٍ به، تألمت كثيرًا وبكيت بقوة وأغمضت عيني مرةً أخرى متمنيةً أن يكون كل ما يحدث معي مجرد كابوسٍ سأفيق منه لأجدني بخير وبالفعل فتحت عيني بعدها فوجدتني في مشفى ما، اندهشت وحاولت الجلوس لأجد بجواري أخي وفيولا وخطيبي وإحدى الممرضات، كانوا ينظرون إلي في حالة من القلق الشديد، فسألتهم عما يحدث فقال خطيبي:

- ماريان، أنتِ في غيبوبةٍ تامة منذ سبعة أيام.

صرخت في وجهه: ماذا تقول؟ أي غيبوبة وكيف فقدت الوعي كل هذا الوقت؟! كيف يا جرجس؟!

بكى جرجس وضمني لصدره قائلًا:

- لا أعلم حبيبتي ماريان، صدقا لا أعلم ماذا حل بكِ.

بكيت بشدةٍ قائلةً:

- ومن الذي يعلم يا جرجس؟ ماذا قال الطبيب؟ أخبروني ولا تخشوْا شيئًا لن يصدمني معرفة ما أصابني من مرضٍ أيًّا كان نوعه.

صمت الجميع وقتها فزاد قلقي فصرخت فيهم:

- ليخبرني أحدكم ماذا بي؟!

قالت فيولا بحزن:

- حبيبتي لقد قام عدة أطباء من جميع التخصصات بالكشف وحاولوا جاهدين تشخيص حالتك ولكن كل ذلك بلا فائدة، وكل التقارير فارغة فلم يستدل عن سبب الغيبوبة حتى أشعة الرنين على المخ والتحاليل لم تُظهر أي شيء.

فتحت فمي عن آخره ونظرت إلى خطيبي باكيةً:

- ماذا؟! التقارير فارغة؟ هل جُننت، نعم فهذا التفسير المنطقي الوحيد أنني أصبت بالهوس.

صمت الجميع ورافقوني إلى المنزل، كنت أخشى الاقتراب منه وطلبت منهم إضاءة جميع المصابيح وأن يظل الجميع بجواري طوال الوقت.

غادر النوم عينيّ فكنت أخشاه بشدةٍ حتى لا أستيقظ على صدمة جديدة، كنت أسمع أصواتًا تهمس في أذني بكلماتٍ غير مفهومةٍ وكأنها طلاسم من كتب السحرة، كنت أنظر حولي بشكلٍ سريعٍ ومخيفٍ فكان يخشاني من يجلس حولي وينتفض مفزوعًا، مرت الأيام ثقيلةً ومرعبة، كل ساعةٍ تمر أسمع فيها ذلك الهمس وأرى الخيال المخيف واليد الملتهبة في كل مكان حولي.

وأخيرا أقرّ أحد الأطباء النفسيين أمثالك يا دكتور يونس، بأنني مصابة بالجنون وأن حالتي متأخرة جدًّا على العلاج وقد يؤدي بي هذا الجنون إلى الانتحار أو الموت المفاجئ.

تركني خطيبي وهذا أمرٌ بديهيٌّ فلن يرغب أحدهم في الاستمرار مع فتاةٍ مجنونة مصيرها الموت وأصبحت كالعجوز التي تبلغ مائة عام، لا أستطيع ابتلاع الطعام بسبب تقرحات كبيرة في فمي، ولا أستطيع النوم حتى لا يهاجمني هذا الشبح المخيف، كنت في فراشي كهيكل العظم أو الجثة المتآكلة.

لم أكن أشعر بعدها بشيءٍ ولا أدري ماذا يحدث حولي.

حتى استيقظت ذات يوم لأجدني في غرفةٍ قذرةٍ في مكانٍ بعيدٍ وهادئٍ تمامًا لا أسمع به سوى صوت نباح الكلاب، ارتجفت بشدةٍ وسألت نفسي: "أين أنا؟! ومَن جاء بي إلى هنا؟!".

أم أنه كابوسٌ جديد، بالتأكيد هو كذلك.

لا يتحرك بي سوى عيني فأصبح جسدي ضعيفًا هزيلًا وكأنني أصبت بشللٍ كامل، تساقطت الدموع من عيني وأغمضتها عدة مرات حتى أستيقظ ولكن لم يتغير أي شيء.

تسلل من نافذة الغرفة الضيقة بعض الضوء، علمت بأنه ضوء الشمس وتيقنت أنني لست أحلم وإنما أعيش كابوس الواقع، فجأةً يفتح أحدهم باب الغرفة لتدخل أشعة الشمس بقوةٍ فأغلقت عيني بشدةٍ فلم أعد أحتمل أي ضوء من كثرة العيش في العتمة.

حاولت رؤية هوية من قام بالدخول ولكن لم أستطع فقد شعرت بيدٍ تحاول تبديل ملابسي وتقوم بتنظيفي وتحاول إطعامي بأي شكل، ابتسمت وأدركت أنه أخي جرجس، فلن يتركني وحيدةً أبدًا.

غابت الشمس وعادت العتمة للمكان وعدت وحيدة مجددًا أنظر إلى سقف الغرفة وشروخه الواسعة وكأنه سيسقط على رأسي في أي لحظة.

وعلى ضوء لمبة جاز صغيرة رأيت ظلًّا ما يتحرك على الحائط، كان ظلًّا مخيفًا فشعرت بالفزع مجددًا وزاد فزعي حينما سمعت أصوات نباح الكلاب بالخارج وكأنهم يصيحون في شيء ما أو أنهم يهابون شيئًا ما، اقترب مني هذا الظل حتى جثا بجسده على كل جسدي، وبدأ في حرق كل جزءٍ به وأدركت أنها النهاية التي كنت أنتظرها واستسلمت لذلك الرعب وذاك الكيان الملتهب الشيطاني وأغمضت عيني لأرى وجه أمي وأبي وهما يبتسمان لي ويمدان ذراعهما لاحتضاني، فأدركت

أني فارقت الحياة في تلك اللحظة وكنت سعيدةً بانتهاء عذابي وجنوني وألمي.

لأستيقظ مرةً أخرى ولكن على رعبٍ جديد، كنت ممددةً بجسدي في كنيسةٍ كبيرةٍ لم أرَها من قبل وكان أحد الأساقفة يقف بجواري ممسكًا بيده الكتاب المقدس، وعلى الجانب الآخر رأيت شخصًا ما أعرفه جيدًا، إنها تريز مربيتي، كانت تبكي بشدةٍ وتصلي من أجلي صلواتٍ متتاليةً وهي صلاة التقسيم.

وقف الأسقف أمامي وأمسك جبهتي وابتسم بهدوء في وجهي ولكن تساقطت بعض الدموع من عينيه على وجهي وشعرت بدفئها وطلب مني أن أغمض عيني وأنصت بهدوء لكلمات الكتاب المقدس، ثم فتح الكتاب وأخذ يردد منه قائلًا:

"ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء"

(لو ١٠: ١٩)

"اشفوا مرضى. طهروا برصا. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجانًا أخذتم. مجانًا أعطوا "

(مت ١٠: ٨)

بدأت أشعر بسخونةٍ وألمٍ شديدٍ في أجزاء جسدي كلها وحاولت الصراخ ولكن تقرحات فَمِي كانت شديدة للدرجة التي وصلت إلى

حلقي من الداخل، تمنيت الموت الحقيقي في تلك اللحظة بالذات من شدة الألم ولكن في تلك اللحظة نظر إليّ الأسقف بحنان ثم أشار أمامه لأرى أيقونة كبيرة للمسيح وحينما نظرت إليه ابتسمت وعلمت أنه الشفاء والدواء، فعاد الأسقف للقراءة مجددًا من الكتاب المقدس قائلًا:

"لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقي رقية، ولا من يسأل جانا أو تابعة، ولا من يستشير الموتى، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب.."

(تثنية ١٨: ٩- ١٢)

"لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع (أي السحرة) فتتنجسوا بهم، أنا الرب إلهكم"

(لاويين ١٩: ٣١)

"وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون، والزناة والسحرة، وعبدة الأوثان، وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت، الذي هو الموت الثاني"

(رؤيا ٢١: ٨)

وفجأة رفع الأسقف رأسه وكان يحدق بشيءٍ ما، كان ينظر في اتجاهٍ ثابتٍ دون أن يرف له جفن كمن ينتابه شعور بالرعب

والاندهاش وتغيرت ملامح وجهه ومن ثم وكمن استعاد روحه نهض ونظر إليّ ثم صاح قائلًا:

- أيها القديس ميخائيل رئيس الملائكة دافع عنّا في المعارك، كن عونًا لنا ضد شر الشيطان ومكامنه وليفرض الله عليه سلطانه.... نضرع إليك بذلك، وأنت يا قائد القوات السماوية ادفع إلى جهنم بقوة الله، الشيطان وسائر الأرواح الشريرة التي تجوب العالم لإهلاك النفوس... هلم يا روح الرب، يا روح الله.. أيها الثالوث الأقدس، أيتها العذراء البريئة من دنس الخطيئة، أيها الملائكة ويا قديسي السماء باركوها وحلوا عليها....

لا سلطان على أبناء الله الحقيقيين، مهما كانت قوة أعمال هذا السحر، ومهما كانت خطورة فاعله، ومهما زادت مهارة الشيطان، الذي يعمل فيه، أنتِ محمية بدم المسيح، شفاء تام من السحر والأسقام.

باسم الأب والابن والروح القدس إله واحد آمين.

ثم ألقى ماءً مقدسًا على جسدي فشعرت بألم حاد في أمعائي وتقيأت دمًا أسود اللون بعدها ثم غبت عن الوعي مجددًا لأجدني مرة أخرى في تلك الغرفة القذرة بعد عدة ساعات من النوم وكانت تريز تجلس بجواري، استيقظت وشعرت أنني في حال أفضل واستطعت تحريك أجزاء من أصابعي فابتسمت لي قائلةً بعيونٍ دامعة: نشكر الرب على شفائكِ يا صغيرتي، لا تخافي، لن يؤذيك أحدهم مرة أخرى.

حاولت التفوه بكلمةٍ ولكن دون جدوى، فربتت على كتفي قائلةً:

- لا تقلقي ستستعيدين عافيتك مع الوقت، فقط ساعديني على ذلك وحاولي أن تبتلعي بعضًا من هذا الحساء معي.

أطعمتني وغيرت ملابسي وكانت تأتي كالعادة كل يوم، وكنت أتعافى يومًا بعد يومٍ حتى نهضت من جديد وأصبحت كالبقية أتناول طعامي دون ألم، ولم أرَ أي خيالات مرةً أخرى.

نظرتُ إلى تريز بحزنٍ وقلتُ لها:

- أخشى من سؤالك عما حدث لي، فأظنني أعرف إجابته.

بكت تريز وقالت بحزنٍ وألم:

- حبيبتي أريد منك الاعتناء بنفسك في الأيام المقبلة فيجب أن أختفي من هنا في أسرع وقت قبل أن يكتشفَ جرجس وفيولا مساعدتي لكِ، ويقوما بقتلي وقتها، سأرحل أنا وزوجي بعيدًا، أريدك أن تستعيدي حقك في كل شيء، في الحياة وفي المال وفيما تألمت به طوال تلك المدة، لتنتقمي منهما شر انتقام فهما يستحقان الحرق والموت... سمعت كل ما دار بينهما بالصدفة. لقد قامت فيولا بالتخطيط لكل ذلك حتى يستوليا على حقك في الإرث بشكلٍ قانوني، لقد مارست السحر الأسود ضدك وبمعرفة أخيكِ وكانت تضعه في حسائك كل ليلة في أثناء جلوسها معكِ، حتى أصابكِ الجنون وتمكن منكِ السحر المميت وبعدها أثبتا جنونك وخطورتك على الجميع

وبأمر من القضاء أصبح جرجس هو الواصي عليكِ والمتحكم بأملاكِكِ وكانا على يقين من موتك المحتم لا يعلمان أن الرب يرعاكِ بحبه، حينما سمعتهما جُن جنوني وأسرعت إلى الأسقف بالكنيسة وأمر بإحضارك إليه لضرورة الصلاة عليكِ وهي صلاة التقسيم، ونشكر الرب على النجاة بعدها.

بكيتُ بشدة فضمتني بين أحضانها ثم رحلت".

لم أنتقم منهما حتى الآن، تركتهما يستبيحان حقي، لم أقوَ على أذيتهما وهما والدا كيرلس قرة عيني، تركت المال والأملاك والحياة لهما وقررت العيش وحيدةً في تلك الغرفة مع كلبي روميو، فالكلاب وحدهم من يستحقون الحب والعيش معنا، هم أوفى من جميع البشر حولنا.

لم يتركني لحظة حتى بعدما نفد الطعام والمال الذي تركته تريز لي، لم يتركني ولم أجد سبيلًا سوى القدوم إلى هنا للحصول على بعض الطعام لنا ليس إلا.. لا أريد سوى القليل منه وسأعيش في هدوء.

سقط روميو من بين ذراعيها ففزعت وأخذت تصفر وتصيح وتلوح بيدها يمينًا ويسارًا للبحث عنه على الرغم أنه يقف أمامها، أدركتُ وقتها ما أصابها لقد أصبحت ضريرةً وأصدر الجميع صوتًا حزينًا لأجلها.

فابتسمت قائلةً:

- لا تحزنوا، نعم أصبحت ضريرة، ولكن أتدرون؟ ليس الضرير هو من فقد بصره، ولكن الضرير هو من فقد الضمير والشعور، الضرير هو ضرير القلب أمثال أخي وزوجته. هيا دكتور يونس، حدثني عن الثقة وعن حب الحياة، كيف ستعالج حالتي تلك ومن أين ستبدأ؟! لماذا لا أسمع صوتك؟!

ساد الصمت وقتها وكأن الكلام هرب من الجميع وتلاشى.

تعقدت الأمور الآن يا يونس، فماذا ستفعل مع هؤلاء، ما الحل؟!

حتى إنني أخشى أن أسأل التالي ما قصتك، صعقت بما سمعت ولا أدري كيف سأبدأ معهم رحلة العلاج، ولكن هناك حل بالتأكيد ويجب عليّ ابتكاره، ولكن أولًا لأسمعهم جميعًا ثم أقرر ماذا سأفعل معهم.....

حسنا من التالي يا أصدقاء؟

*****

قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق

قال تعالى:

﴿ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾

[المائدة: ٣٢]

حان دورك أنت، هيا فكلنا آذانٌ مصغية، نود سماع قصتك وأتمنى أن تكون أقل ألمًا مما سمعناهم.

ابتسم المريض بسخريةٍ قائلًا:

- أتعتقد ذلك؟!

ابتسمت وقلت بإحباط:

- تمنيت فقط، ولكن الحقيقة تظهر على وجوهكم، لا مفر، هيا جرعة أخرى من الحزن من فضلك هههه.

لم يضحك أحد وشعرت بسخافتي فجأة، ابتلعت ريقي ونظرت بحزم إليه قائلًا:

- من أنت؟ وكم عمرك؟ ومن أين أتيت؟

نظر إليّ بغضبٍ للحظات ثم ابتعد بنظره عني قائلًا:

- اسمي مجاهد ولا أتذكر كم عمري الآن ولكن أعتقد أنه ما بين الثلاثين والأربعين، كنت أقيم في محافظة أسيوط ولكن لم أعد أريد العودة إليها مرة أخرى.

سألته في دهشة:

- لماذا يا مجاهد؟ أنت صعيدي الجذور وبالتأكيد أهلك جميعهم يقيمون هناك!

أمسك بكوبٍ من الشاي ولكن كانت يداه تهتز بشدة فلاحظت ذلك بسهولةٍ ودققت النظر إليها فقال لي:

- لا تُطِل النظر، كنت مصابًا بشلل نصفي والآن بدأت أستعيد حركة نصفي الأيمن من جديد ولكن مع عدم الاستمرار في العلاج الطبيعي لم تعد يدي كما كانت من قبل.

حزنت لأجله ودعوته ليخبرنا قصته كاملة فقال:

- تسمعون دائمًا عن قصص وجرائم الصعيد بالتأكيد.

قاطعه الشيخ حامد قائلًا: أتقصد الثأر؟!

تنهد بقوةٍ ثم قال:

- "نعم وهل لدينا إرث غيره، فأنا من ضمن هؤلاء الذين يدفعون ثمن قتل أحدهم حتى ولو بالخطأ.... أنا شخصٌ ضعيفٌ مسالمٌ أتلاشى تمامًا المشكلات وما يأتي من ورائها ولكن أيقنت أنني مهما حاولت الهروب فالمكتوب محتوم، كالموت يأتيكم ولو كنتم في بروجٍ مشيدة، هذا حال المشكلات أيضًا.

سارة خميس

أنا من أسرةٍ فقيرةٍ بل تكاد تكون معدومة، تزوجت من ابنة عمي وكانت في ظروفنا المعيشية نفسها، لم ندخل المدارس ولا نعلم شيئًا عن القراءة والكتابة ولكن ليس تلك هي المشكلة التي أرقت حياتنا، الجوع هو المشكلة الأكبر.

أنجبت فتاةً صغيرةً جميلةً وقررت تربيتها على أكمل وجه، وعملت ليلًا ونهارًا أعمالًا شاقة، تارةً في أراضي المزارعين، وتارةً في أحد مصانع قصب السكر وتارةً أخرى أحمل الطوب والأسمنت على ظهري وكنت راضيًا بما يقسمه الله لي في آخر اليوم.

مرضت زوجتي، لم أدرِ ما أصابها فجأةً ولماذا.. وكان جدي يشاركنا منزلنا الصغير الذي بنيته من الطين وسقفته بالقش والتبر.. لم يكن لديه مأوى آخر غيري، ومات كبار العائلة وحتى صغارها في مذبحة دامية منذ أعوامٍ كثيرة، الجميع تحدث عنها وتناقلتها شاشات التلفاز، نجوت منها أنا وجدي متعمدًا الهروب من أرض المذبحة وجئت به إلى تلك الغرفة وكان من ضمن الناجين أيضًا عمي وابنته، ولكن كان عمي مصابًا إصابةً بالغةً ونزف كثيرًا وكان قد فارق الحياة فور وصوله المشفى.

قررت الزواج من ابنته بعدها فلم يبقَ لها أحد بعدي وبعد جدي، يوم مرضها لم يكن لديّ ما يكفي من المال لعلاجها وحملتها إلى المستوصف القريب منا وبعد عدة فحوصات أخبرني الطبيب أنها في حاجةٍ إلى الدخول لغرفة العمليات على الفور لاستئصال الزائدة

الدودية، ويجب عليّ نقلها بأقصى سرعة إلى مستشفى المحافظة، ولكن علقوا دخولها غرفة العمليات على دفع تكاليف تلك العملية.

توسلت إليهم كثيرًا ولكن دون جدوى وأسرعت هنا وهناك محاولًا طلب المساعدة من أي شخص على أن يقرضني تكلفة العملية على وعد بالسداد بعدها ولكن لم يمد لي أحدهم يد العون، مبررين موقفهم بسوء حالتهم المادية.

عدت في وقت متأخر إلى المشفى حاملًا خيبتي ودخلت للطبيب محاولًا التوسل إليه مرة أخرى ولكن فات الأوان، قد فارقت الحياة وتركتني أنا وجدي وابنتي التي لم تكمل ثلاثة أعوام بعد.

عدت إلى المنزل بخيبتي ولكن هذا أمر الله، ولكن تحملت جزءًا من ذنب موتها، فلو كنت أملك بعض المال لكانت تعيش بيننا حتى الآن، برغم كل ما حدث واصلت حياتي بصورة طبيعية، ولكن القلب من الداخل محترق، ابتعدت تمامًا عن فكرة الأخذ بالثأر حتى أستطيع تربية ابنتي الصغيرة ومراعاة جدي المسن، وبصراحةٍ أدرك حجم قوتي، فأنا ضعيف البنية وضعيف الأهل والعزوة، لم يكن لديّ السند الذي أتكئ عليه، لم يكن لدي سوى صديق واحد اسمه عبد الهادي، كان صديقي منذ الطفولة وكان حاله مثل حالي تمامًا، فهو فقيرٌ ويعيش في بيتٍ يشبه بيتي، تقاسمنا معًا كل شيء، العمل والطعام، الحزن والفرح.

فأنا من سانده وقت زفافه بأضعف الإيمان، بقدر ما استطعت وكنت بجواره طوال الوقت.

قلبه تعلق بشدةٍ بحب ابنتي وكان يمزح دائمًا بقول:

- حينما أنجب ولدا سوف أزوجه لابنتك فيما بعد.

ضحكت مازحًا وقلت:

- ابنك يتزوج من ابنتي أنا!، سيكون فقيرًا ومعدوما مثلك وسيكون أصغر منها بأعوام.

صاح فيّ بغضب:

- هل أنا معدوم وحدي، وأنت أصبحت صاحب أملاك في غمضة عين، وأيضًا منذ متى ونحن نفكر بعمر الأبناء عند زواجهم، لماذا تكسر بخاطري هكذا؟!

اندهشت من رد فعله وقلت مواسيًا إياه:

- لماذا كل هذا الغضب؟! كنت أمزح معك ليس إلا.. وأين ولدك الذي غضبت من رفضي له، لم يأتِ للحياة بعد، لن أجد أعز وأغلى منك يا صديقي لأسلمه ابنتي حينما تكبر، فأنت بمثابة والدها الثاني، ولكن أولًا، جد لنا ذلك الفارس الجميل ابن صديق عمري.

احتضنته وضحكنا معًا كالعادة.

ذات يوم سمعنا صراخًا وعويلًا في مكانٍ قريبٍ منا، ولم نكن ندري ماذا يحدث؟!

هرولت أنا وعبد الهادي لنرى مصدر هذا العويل، ولكن رأيت جدي يقترب منا وصاح فينا بالعودة إلى المنزل، ساندته حتى وصلنا معا وجلست بجواره أنا وعبد الهادي نسأله عما يحدث في القرية.

التقط أنفاسه بصعوبةٍ قائلًا:

- لقد قُتل ابن بدرية على يد عائلة سويلم، وبدرية في حالة يُرثى لها فكان هو ولدها الوحيد.

نظرت أنا وعبد الهادي لبعضنا البعض في ذعرٍ ثم سألت جدي:

- أرأيت كل ما حدث؟ ومن هو القاتل؟

قال في حزن:

- نعم رأيت، كنت أسير في الطريق أقصد صديقًا لي لأطمئن عليه، وفجأةً رأيت ابن بدرية يهرول مسرعًا تجاهي، ولم يكن هناك أي شخص عابر بالطريق. كان يبدو عليه الذعر واستوقفني قائلًا: "أرجوك ساعدني يا عم الشيخ، سوف يقتلونني"، أمسكت به ثم رأيت شخصًا ما يمسك بسلاحٍ ويهرول تجاهنا، شعرت بالخوف الشديد وابتعدت عن الشاب، ثم رأيت ذاك الشخص يقطعه إربًا بسلاحه، حتى أرداه قتيلًا، صدقوني لم يكن ذنبي أنا، كنا سنموت معًا في نفس اللحظة، فماذا يفعل رجلٌ عجوزٌ مثلي أمام رجلٍ قويٍّ يحمل سلاحًا حادًّا؟

بكى جدي بشدةٍ وحاولت مواساته أنا وعبد الهادي وطلبت منهما ألا يقصا ما حدث أمام أحد مرة أخرى وأن يتكتما عليه وكأنه لم يحدث أبدًا.

بدرية من عائلة هوارة، السواد والشر كسا قلبها بعد مقتل زوجها وولدها الكبير من قبل عائلة سويلم، ولو علمت بما حدث ستغضب أكثر ولا ندري ما سيحدث بعدها.

أحاول بشتى الطرق العيش في أمان بعيدًا عن الثأر والغضب والدم، ولكنه يصر على أن يطرق بابي مجددًا.

ترى ماذا ستفعل بدرية بعد قتل ولدها، وكيف ستواجه وحدها عائلة سويلم؟!

سمعنا بعدها أنها ذهبت إلى دار أحد كبار عائلة سويلم وكادت تهجم عليه فمنعها رجاله ورموها خارج القرية، لم يريدوا قتلها؛ فقتل المرأة عار عندنا وكانت فرحتهم بالنصر كبيرة بعد القضاء على آخر نسل عائلة هوارة.

مرت عدة أيام وذات يوم علمتُ أن بدرية أخبرها أحدهم على ما حدث مع جدي وابنها قبل مقتله، ولكن من أخبرها لم يتحقق من هوية جدي، فحمدت الله على ذلك، فكيف لها أن تعرف من هو!

في اللحظة نفسها وجدت عبد الهادي يصرخ ويبكي بشدة أمام منزله فأسرعت إليه وسألته عما حدث فقال:

- زوجتي تعاني من الولادة المتعسرة وذهبت بها إلى المشفى ويجب أن تلد بعملية قيصرية ولا أملك أي مال، فماذا أفعل؟!

ربت على كتفه قائلًا:

- لا تبكي يا صديقي، ستلد زوجتك وستصبح بخير، لدي بعض النقود كنت ادخرتها منذ وفاة زوجتي تحسبًا لأي شيء يحدث وها قد أتى الظرف المناسب، هيا أسرع إلى زوجتك.

شكرني كثيرًا وأسرع إليها، والحمد لله نجت زوجته وطفله، وفعلت معه ما لم يستطع أحد فعله معي وشعرت أنني كفّرت عن ذنبي في وفاة زوجتي الغالية.

شيء ما بداخلي كان يشعرني بعدم الأمان هنا في القرية وفكرت في الابتعاد بجدي وابنتي إلى مكانٍ آخر لا يعلمه أحد، وظل هذا الإحساس يراودني طوال الوقت، حتى سمعت خبرًا عجيبًا ذات يوم، بدرية عرضت مبلغًا ضخمًا على من يدلها على ذاك الرجل الذي رفض مساعدة ولدها قبل مقتله، وقررت الثأر منه وليس من القاتل الفعلي وهم عائلة سويلم، وأيقنت أن الوقت قد أزف للرحيل، فأخبرت جدي بالرحيل على الفور وتركته أمام المنزل هو وابنتي في حين ذهبت أنا إلى منزل عبد الهادي لأودعه قبل الرحيل.

فتح باب منزله وكان يبدو عليه الخوف والقلق فسألته:

- ماذا حدث؟ زوجتك وولدك بخير؟!

تلعثم قليلًا وتصبب وجهه عرقًا فجففه بيده وقال:

- نحن بخير، أتريد شيئًا مني؟!

قلت له في حزن:

- لا يا صديقي جئت لأودعك قبل رحيلي من أسيوط كلها وسامحني على ذلك فبالتأكيد نما إلى علمك ما فعلته بدرية من عرض مبلغ مالي كبير لمن يخبرها بمكان جدي، وقلبت الثأر ليكون في رقبته، لم تقوَ على مواجهة عائلة سويلم فبحثت عن الضعيف، الغضب أعمى قلبها وتود إفراغ هذا المخزون منه في أي شخص، وأنا لا أستطيع التفريط فيه، فهو كل ما تبقى لي هو وابنتي الصغيرة، هيا تعالَ معي لتقبلها قبل الرحيل، وأعلم أنني عند وعدي بشأن زواجها من ولدك حسن، إن شاء لي القدر العيش حتى تلك اللحظة، هيا أسرع قبل أن يفوتني قطار الظهيرة.

ولكن الغريب أن عبد الهادي لم يتحرك من مكانه، ووجدت الدموع تنهال بشدةٍ على وجهه فظننته حزينًا على فراقنا ثم سمعت فجأة صوت طلقاتٍ ناريةٍ متتالية وحينما نظرت إلى مصدرها وجدت ما يفزع به القلب، فكان مصدرها منزلي، أسرعت إلى هناك، وعبد الهادي خلفي، ووجدت جدي ملقى على الأرض محتضنًا ابنتي غارقين في دمائهما.

لم أستطع الصراخ ولا البكاء، توقف كل شيء بداخلي ونظرت إلى عبد الهادي فوجدته يبكي بشدة ممسكًا بطفلتي بين أحضانه قائلًا:

- سامحيني يا صغيرتي فلم تكوني أنتِ المقصودة ولم أعلم أن ذلك سيحدث.

أدركت وقتها ما حدث، صديقي ورفيق دربي وكل شيء لي هو من طعنني في ظهري، هو من سلب مني آخر ما أملك في هذه الحياة وأهم ما أملك.

أخذت أردد كلمة (أنت... أنت... أنت) ولم أشعر بعدها بنفسي، من هول الصدمة في مقتل جدي وابنتي وخيانة صديقي المقرب؛ أصبت بجلطة قوية في المخ وتسببت في الشلل النصفي وتمنيت أن أغادر تلك الحياة التي لم يعد بها شيء أعيش لأجله.

تم ترحيلي بسيارة الإسعاف إلى القاهرة لأمكث في الرعاية المشددة عدة أيام على نفقة الدولة فهناك من رأف بحالي وقام بفعل ذلك ولكن أشك، فلا يوجد مثل تلك الأمور بين البشر.

ضحيت بمالي كله من أجل إنقاذ طفل صديقي وزوجته، وفي المقابل ضحّى هو بطفلتي وجدي وصداقة العمر مقابل المال، تلك هي الحياة ولكن لم أكن أعيها من قبل.

بأي ذنب قتلت ابنتي!

بأي ذنب قتل جدي!

وبأي ثمن باع صديقي وأخي ضميره!

دكتور يونس هل الضمير يقدر بالسعر؟!".

لم أستطع الإجابة بعد سماع كل ما حدث معه ولأخفي عجزي سألته: كيف وصلت إلى هنا؟!

ضحك ساخرًا: القدر يا دكتور، القدر وليس البشر، ولا أريد منكم شيئًا، ماريان تطلب الطعام والشراب لها ولكلبها، أنا لا أريد حتى ذلك، دعوني فقط أموت في هدوء.

صحت به: لا... لن أدعك، ولن أتركك وحيدًا حتى تشفى من تلك الحالة.. وإذا لم تقتص لك عدالة الأرض.. فهناك عدالة السماء.. فجزاء من قتل نفس بغير حق كجزاء المشرك والساحر، عذاب جهنم وبئس المصير خالدين فيها أبدًا، إن الله جبار قوي لا يقبل بظلم عباده المؤمنين، الصابرين، المظلومين، وأنت منهم، ردد فقط "حسبي الله ونعم الوكيل".

رددها مجاهد وهو يمسح دموعه المنهمرة كالسيل على وجهه.

لقد شارفت على اليأس من هؤلاء ولكن لفت انتباهي شيء ما وكأنني أمام رسالة أتت إليّ من أحدهم، لن أخبركم بظني الآن، فهناك ما أريد سماعه.

هيا يا أعزائي البائسين........... من التالي؟!

*****

أكـــــل الربـــــا

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾

[البقرة: ٢٧٥]

رفعت إحداهن يدها مشيرةً إلى دورها في التحدث، فتاةٌ في العقد الثالث من العمر تقريبًا، ترتدي عباءةً سوداء وحجابًا، ولكن خرج منه بعض خصال شعرها المشعث وكأنها في عالمٍ آخر، وكانت يداها ملفوفة بشاشٍ وظهر عليه بعض بقع من الدم.

ابتسمتُ إليها قائلًا:

- حسنا... هل سأتوسل إليكِ لتتحدثي كالبقية، أم ماذا؟!

نظرت إلى الجميع بوجه عابسٍ ثم قالت:

- لا داعي للتوسل، أشعر أنني أرغب في ذلك.

تنفست الصعداء وأشرت إليها بالبدء.

- "أنا سهير.. عمري ثمانية وعشرون عامًا، كنت الابنة الوحيدة لأبٍ ميسور الحال، فكنت مدللةً جدًّا من أبي وأمي، وكان أقاربي من الفتيات يغرن مني بسبب ذلك، فابتعدت عنهن جميعًا، وكان لدي صديقتان مقربتان تعرفت عليهما في الجامعة، وكانت الصدفة أننا نقطن بالمكان نفسه وهو حي المعادي.

كنا نذهب ونعود معًا كل يوم، حتى في العطلة الصيفية نقضي أغلب الأوقات معًا.

وبعد التخرج تزوجت إحداهن والأخرى انتقلت إلى العيش في مكانٍ آخر وبالتدريج انقطعت أخبارهما عني، شعرت بالملل الشديد بعدها وأبي كان يلاحظ ذلك فعرض عليّ وظيفة في إحدى الشركات في الشئون القانونية وكان صديقه هو المدير المالي بها، فأنا تخرجت في كلية الحقوق وتدبر أبي بعدها أوراق تسجيلي في نقابة المحامين رغم أني غير متحمسة لهذه المهنة ولكن حكمت عليّ الظروف الالتحاق بتلك الكلية.

كنت قلقة إلى حدٍّ ما من قبول الوظيفة ولكن وددت أن أخوض تلك التجربة لعلها تبدل حالي وانشغل طوال اليوم بها.

لم يمثل العائد المادي مشكلةً لي؛ فكما قلت من قبل أبي ميسور الحال فكان يعمل بشركة البترول ولكنه تقاعد قبل سن المعاش نظرا لإصابته في العمل، فكان معاشه لا بأس به بجانب مكافأة نهاية الخدمة ورصيد ضخم في أحد البنوك.

في بداية الأمر كنت أهاب العمل في تلك الشركة فهي أول تجربة بالنسبة لي، ورحب الجميع بوجودي وكانوا يحاولون التقرب مني ولكن ليس هذا من طبيعة حالي.

كنت أكتفي بالسلام والسؤال فقط ووضعت تركيزي كله في العمل ليس إلا.

بعد مرور عامين كنت قد تأقلمت كثيرًا على هذا العمل وأحببته وبالفعل جعلني لا أشعر بالملل كالسابق، نسيت أن أخبركم أن الكثير من الشباب كانوا يرغبون في الارتباط بي منذ دراستي وحتى بعد تعييني في الشركة ولكن أبي هو من رفض ذلك، فكان لا يرى من هو مناسب لي ماديًا واجتماعيًا في هذا الوقت ولم يؤثر رفضه عليّ، فلم أكن أنا الأخرى أرغب في الارتباط وقتها.

وفي يومٍ كنت أجلس على مكتبي كالعادة منهمكة بين الأوراق حتى ظهر شابٌّ يقف أمامي مبتسمًا وبيده أحد الأظرف.

ابتسمت وسألته عما يريد فقال:

- أنا خالد، صاحب مكتب للتخليص الجمركي ومعي بعض الأوراق لمراجعتها معكِ، خاصة بالصادرات والواردات من الشحنات التي أفرجت عنها.

قلت له في دهشة: لم أرَك من قبل، فمن يأتي عادة منذ أن جلست على هذا المكتب هو أستاذ عادل.

ابتسم وصمت قليلًا وهو ينظر إليّ وشعرت أنها نظرة إعجاب من الوهلة الأولى ثم قال:

- ألن تسمحي لي بالجلوس أولًا!

شعرت بالحرج وكنت مرتبكة بشدةٍ لا أعلم لماذا، فسمحت له بالجلوس وعرضت عليه فنجانًا من القهوة ورحب بذلك.

نظر إليّ مجددًا تلك النظرة وابتسم قائلًا:

- أعلم أنكِ لم تلتقِ بي من قبل، وعادل هو أحد الموظفين في مكتبي وكنت أرسله بشكل دوري إليكم نظرًا لضيق وقتي، ولكنه تسبب لي في عدة مشكلات خاصة بالعمل، فكان يقوم ببعض الأعمال لحسابه دون علمي بعد أن تعلم على يدي كل شيء ولكن هكذا هو حال البشر، طردته وقررت إدارة أموري بنفسي.

رحبتُ به وطلبت منه الأوراق لنراجعها معًا قبل عرضها على مدير الشركة. ومن بعدها تكررت زيارته لنا وكنت أراه وأتحدث معه دائمًا بطبيعة عملي، وكلما جلس أمامي كنا نشعر معًا بالانجذاب لبعضنا البعض وساعدنا على ذلك التقارب الفكري بيننا.

حتى جاء ذات يوم وطلب مني مقابلتي للضرورة بعد انتهاء ساعات العمل والغريب أنني رحبت بشدةٍ ووافقت على الفور.

جلسنا معًا ودون أي مقدمات صرح لي بحبه ورغبته في الارتباط بي، فطلبت منه عرض الأمر على أبي والتعرف عليه والقرار الأول والأخير يعود إليه في تلك الأمور.

عدت إلى المنزل والسعادة تغمرني وكنت أشعر بالدماء وكأنها تدفقت جميعها في وجنتي.

جلست بجوار أبي وأمي وبعد الكثير من المقدمات الواهية تجرأت على إخبار أبي بكل ما حدث ورغبة خالد في تحديد موعد زيارة لطلب يدي.

وافق أبي على مقابلته، وأكد أنها ستكون مجرد جلسة تعارف حتى يسأل عنه ويرى إن كان مناسبًا ليكون زوجي المستقبلي أم لا.

كنت أشعر بالقلق ولأول مرة أرغب بشدة في الارتباط بشخصٍ ما، وأيقنت أنني قد وقعت في شباك الحب وما أجمله من شعور.

أتى اليوم المنتظر وسجدت كثيرًا ودعوت أن يتم الأمر على خير وأسعد بموافقة أبي على زواجي من خالد.

دق جرس الباب وشعرت أنها دقات قلبي، كنت أرتجف بشدةٍ وكانت أمي تجلس بجواري مبتسمة وأمسكتْ بيدي حتى أهدأ قليلًا.

فتح أبي الباب، وما إن رأى "خالد" صمت للحظات وأخذ ينظر إليه في دهشةٍ، والغريب أن خالد فعل الشيء نفسه، فنظرت بقلقٍ إلى أمي وراقبنا ما يحدث.

ابتسم أبي أخيرا وقال:

- لم أتوقع أن تكون أنت خالد الذي تحدثت عنه ابنتي!

فكان رد خالد:

- ولكني على علم بمن يكون والد سهير وهذا ما شجعني على التقدم لطلب يدها اليوم.

ارتبك أبي بشدة وتبدلت ملامحه ثم أذن له بالدخول.

رحبت أمي به ثم نظرت إلى أبي قائلة:

- هل تقابلتما من قبل؟!

تلعثم أبي وهو يتحدث وكان رده مفاجأة لنا:

- نعم... خالد كان.... أقصد تقابلنا منذ وقت طويل.... أعني...!

قاطعه خالد مبتسمًا وقال:

- والدك هو صديق أبي، وكانا يعملان في شركة البترول ورأيتهما عدة مرات وهما يجلسان معًا ولكن ابتعدا في الفترة الأخيرة بسبب تقاعد والدك وكنت أعلم أنكِ ابنته من البداية، مِن اسمك... وهذا ما شجعني أكثر على التقدم لخطبتك فقد تأكدت من أصلك الطيب ومن تربيتك وأخلاقك لأنني على علم بكل ما يخص والدك من كثرة حديث أبي عنه، هذا كل شيء.

ساد الصمت للحظات وكأن الجميع أصابه البكم، ولكنني شعرت ببعض الراحة فلن يتسنى لأبي رفضه بعد الآن، لأنه شابٌ وسيمٌ وميسور الحال وخلوق وابن صديق والدي أيضًا، فلا مجال للرفض.

قاطع خالد هذا الصمت قائلًا:

- ماذا يا عمي؟! أنتظر ردك على طلبي!

سأله عن أبيه وأمه ولماذا لم يأتيا في جلسة التعارف تلك، وكان سؤاله منطقيًّا.. فقال:

- أبي توفي منذ عامين، ولم أخبر أمي بقدومي إلى أن أتأكد من قبولك لطلبي.

جلسنا جميعًا منتظرين موافقة أبي وبعد لحظات أومأ برأسه بالموافقة.

كنت في قمة سعادتي وانصرف خالد ليخبر والدته وكاد يطير من السعادة هو الآخر، ولكن أبي لم يكن سعيدًا مثلنا، ولا أعلم سبب حزنه وقلقه فسألته والدتي عن السبب فقال:

- لا شيء، فقط شعورٌ غريب، ابنتي الوحيدة ستتزوج وترحل من منزلي لتكون في منزل شخص آخر، وكأني لا أريدها أن تبتعد عني ولو لحظة ولكن تلك هي سنة الحياة.

تساقطت دموعي حينما سمعته وأسرعت إليه واحتضنته بشدة ووعدته أن أزوره باستمرار.

لن أطيل عليكم بالإسهاب في تفاصيل عادية، تزوجت أنا وخالد وتركت منزل أبي ولكن وفيت بوعدي وكنت أزوره بصورة دائمة.

قدمت استقالتي برغبةٍ من زوجي لأتفرغ له وحده، ولم أمانع فمن شدة حبي له كنت أريد إسعاده بشتى الطرق حتى ولو على حساب ما أحب.

مر ثلاثة أعوام على زواجنا ولم يرزقني الله في تلك الفترة بطفلٍ وهذا الشيء الوحيد الذي عكر صفو حياتي، لكن خالد لم يهتم بتلك الأمور وكان يقول دائما:

- دعي هذا الأمر، وكل شيء بموعدٍ من الله، وليس هناك علة بنا وهذا ما أجمع عليه الأطباء وظهر في الفحوصات، فلمَ العجلة والحزن حبيبتي؟

إلى أن جاء اليوم المنتظر، الذي علمت فيه بخبر حملي وبكيت من فرط السعادة، وأخيرًا سأصبح أمًّا وسيصبح والداي جدًّا وجدة. ولكن شيء ما بدأ يحدث منذ تلك اللحظة، تبدل حال خالد ليس بسبب خبر حملي ولكن بسبب شيءٍ آخر خاص بعمله.

كان يخبرني دائما بذلك عند سؤالي له ولكنه رفض الإفصاح عن أي تفاصيل، وفي يوم عاد حزينًا أكثر من ذي قبل وأخبرني بما يحدث:

- تعلمين طبيعة عملي في التخليص الجمركي، أنا لا أعمل لحساب بعض الشركات فقط ولكن أعمل لحسابي الخاص أيضًا، أتاجر في بعض البضائع الواردة لتوزيعها جملة أو بالتجزئة هنا في مصر، ومن ضمن تلك البضائع كانت الهواتف من شركات شهيرة.

اندهشت فلم يخبرني من قبل بتلك الأمور وسألته عن المشكلة:

- حسنا سأشرح لكِ، لأستورد تلك البضاعة أحتاج إلى رأس مال ضخم، فكنت أقترض من شخصٍ ما المال على أن أرده بفائدة بعد تصريف البضاعة.

صرخت في وجهه: بالربا؟!

ارتبك بشدة وقال:

- لا يا حبيبتي ليس ربا بالمعنى، إنها مجرد تجارة وكان ذلك في البداية وبعدها تعرفت على معظم التجار ووثقوا بي فطلبت منهم المال المطلوب للأجهزة التي سوف أستوردها وسيشترونها هم بسعر الجملة، المشكلة في تلك المرة أنني تقاضيت حوالي خمسة ملايين منهم وكان هذا سعر شحنة الأجهزة التي طلبوها مني وقمت بشراء أنواعٍ أخرى لأجرب توزيعها في عدة محافظات لأن أحدهم أخبرني أن المكسب منها أعلى.

كنت أبكي بشدةٍ ولا أدري لماذا أبكي، هل بسبب شكي في طبيعة مكسبه؟ هل هي فعلًا أموال من الربا؟ أم أبكي على المبلغ الضخم؟ أم أبكي على عدم تصديقه في كل ذلك؟ ثم طلبت منه توضيح ما حدث فقال:

- بعد الإفراج عن الشحنة دفعت سبعة ملايين لها، وكنت على يقين من تحقيق المكسب أضعاف الأضعاف، وعندما وزعتها رفض

التجار استلامها بحجة إنها مخالفة للمواصفات وإنها غير أصلية المنشأ وتم تجميعها في الصين ليس إلا.

سألته عن صحة ما قالوا فصدمني رده.

- للأسف نعم، ظننتهم لن يهتموا بمصدرها أو بلد المنشأ، فالمهم إنها تحمل نفس الاسم والمواصفات التي كانوا يريدونها، ولكنهم خذلوني ولا أدري ماذا أفعل فقد خسرت الآن رأس مالي كله، والتجار يطالبونني بالمبالغ التي تقاضيتها منهم، والبضائع ملقاة في المخازن التي أدفع أرضيتها بالآلاف.

الصدمة جعلتني في حالة من الصمت والبكاء لوقتٍ طويلٍ، واصلت التفكير في حل ما لتلك الورطة وبعد ساعات كان يجلس هو وحيدًا يفكر ويحرق السجائر حتى أصبحت كومة أمامه، اقتربت منه وجففت دموعي قائلة:

- لن أطلب إثباتًا لأشياءٍ معينة الآن على الرغم من أنني أود التأكد منها بشدة، لأنني لن أسمح أن تطعمني مالًا حرامًا أو أن يكبر طفلي بمالٍ حرام ولكن الأهم حاليًا، ليس أمامك سوى حلٍّ واحد، نبيع منزلنا هذا، فهو في مكانٍ راقٍ وأعتقد ثمنه الآن يتخطى الثلاثة ملايين ونذهب مؤقتًا للعيش مع أبي وأمي، أو والدتك وأختك، وغدًا سأبيع كل الذهب الذي قمت بشرائه لي، الأولى سد الدين والخروج من هذا المأزق.

لم يقل أي شيء ودخلت غرفتي بعدها لأبتعد عن وجهه ولو قليلًا وحاولت النوم ولكن لم أستطع، وفي الصباح استيقظت بعد أن غفلت

عيناي بعض الوقت فلم أجده بجواري، خرجت مسرعة إلى الخارج وجدته جالسًا كما تركته أمس فسألته عن سبب جلوسه هكذا بعد أن وضعت له أحد الحلول فقال:

- سهير عليّ بإخباركِ بشيءٍ مهم ولكن أرجوكِ لا تغضبي.

قلت بهدوءٍ ولكنه هدوء ما قبل العاصفة:

- أهناك شيء آخر لا أعرفه يغضبني، تكلم، ما هو؟ ولن أندهش بعد ذلك من شيء.

- هذا المنزل ليس ملكًا لي، لقد استأجرته قبل زواجنا وثمن إيجاره أيضًا باهظٌ جدا، حتى الذهب.......

قاطعته بصياح عال: هو أيضًا مزيف.... صحيح؟!

- نعم.

انهرت تمامًا وصرخت حتى تدفق الدم كله أعلى رأسي وبعد ساعة من البكاء والصمت قلت في هدوء:

- لقد خذلتني وخدعتني وغدرت بي، تزوجتني على كذبةٍ كبيرة وأطعمتني مال الربا وحقا لن أستطيع التحمل، ويجب أن نفترق، سأعود إلى منزلي وسأخبر أبي بكل شيء وسأنتظر ورقة الطلاق.

عدت إلى المنزل وأنا في حالة يرثى لها وأخبرت أبي بما حدث ولم يندهش حين سماعه كل هذا على عكس أمي، نظرت إليه في حيرة منتظرة منه أي تعقيب وصرخت به متسائلة عن سبب صمته، وقبل

أن يتفوه طرق أحدهم الباب، إنه خالد، سألته عن ورقة الطلاق فجاء رده بابتسامة باردة:

- ليس هناك داعٍ لكل هذا يا حبيبتي.

ثم وجه حديثه لأبي:

- قل شيئًا يا عمي، وأقنع ابنتك بالعودة معي، وأخبرها بأنك سوف تقوم بسد ديني على أن أرده إليك مضاعفًا بعد تصريف كل البضاعة في المخازن، كما كنت تفعل من قبل.

نظرتُ إلى أبي في صدمة وحيرة وانتظرت رده هو وأمي ولكنهما لم ينبسا ببنت شفة.

ضحك خالد بصوتٍ عالٍ وقال بسخرية:

- لا تندهشي يا عزيزتي، فوالدك هو من كان يقرضني المال منذ أن بدأت في تلك التجارة، ووالدتك على علمٍ بطبيعة ربحه، العمل في الشركات لا يُربح كل تلك النقود ولكنكِ لا تعرفين أي شيء.

قلت بتلعثم من الصدمة:

- "أبي يربح مال الربا، ومنذ سنوات، وأنتِ على علم بذلك يا أمي، تعلمتُ بمالٍ حرام وأكلتُ بمالٍ حرام وتزوجت بالحرام وبالكذب والخداع، لا أصدق، بالتأكيد كل ذلك مجرد كابوس، كيف فعلتم بي كل ذلك؟!

وأنتِ يا أمي يا من تعلمت على يدك الصلاة والالتزام والحلال والحرام، كيف وافقتِ على ذلك وكيف وافقتِ على زواجي من هذا النصاب، كيف؟!".

جذبني من يدي ليجبرني على العودة معه، فصفعته بقوةٍ على وجهه، فقام بعدها بركلي في بطني، وقعت مغشيًّا عليّ من شدة الألم، واستيقظت في المشفى بعدما فقدت ما انتظرته لأعوام، طفلي الصغير، وكدت أفقد حياتي بعدها.

طالبت بعمل محضر وإثبات حالة التعدي وبالمقابل رفعت دعوة بالطلاق وبالفعل طلقني بحكم من المحكمة وقمت بالإبلاغ عن أبي وحُكم عليه بالسجن لمدة عامين وتركت المنزل فلم أستطع العيش مع أمي بعدها، ولا النظر إلى وجه أحدٍ منهم، وتم إلقاء القبض على خالد بعدما أبلغ عنه التجار وسُجن هو الآخر.

تجولت في الشوارع ليلًا بلا مأوى ولا طعام وضاقت الدنيا بي فقررت الانتحار وقطعت شرايين يدي ثم وجدتني هنا وكلما تذكرت ما حدث نزفت يدي مجددًا، أبَى الجرح عن الالتئام وأبى قلبي أن يشفى.

لم يعد هناك ما أخسره أو أعيش من أجله..

فقدت الثقة بالجميع فليس هناك من أثق به بعد والديّ وزوجي الذي أحببته.

عاد الصمت ليخيم على المكان مجددًا، حالةٌ جديدةٌ وقصةٌ جديدةٌ لا حل لها، ولكن الأمر الذي كنت أشك به يبدو واضحًا الآن، ولكن لأتأكد أكثر منه وأسمع حكاية المريض التالي.

*****

أكـــل مـــــال اليـتيـم

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾

[الإسراء: ٣٤]

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾

[النساء: ١٠]

حسنا التالي هو أنت أيها الشاب الوسيم.

حدثت نفسي للحظات قائلًا: "أعلم جيدًا عما ستدور قصتك حوله لأتحقق من صحة ظني، بدأ موضوع مرضكم وعلاجكم يثير شكي وفضولي، ولكن لأنتهي من سرد قصصكم وبعدها سنرى الحل الجذري فيما حدث وسيحدث.

التقط نفسًا عميقًا قبل أن يبدأ حديثه ثم عبث بخصل شعره الطويلة السوداء قليلًا وجلس معتدلًا على كرسيه قائلًا:

- "هناك أشخاص في البداية يذهلونك باختلافهم، بتميزهم، ثم تندم بقية عمرك لأنك عرفتهم يومًا، وهذا ما حدث معي...

اسمي مروان لقد أتممت عامي الثلاثين منذ ثلاثة أيام، لدي أخ يكبرني بأربعة أعوام، ولكنه رحل عني ليكمل بقية حياته في بلد آخر وأعلم أنني لن أراه مجددًا ولن يحاول البحث عني.

توفت أمي وأنا في سن صغيرة إثر حادث أليم وتزوج أبي بعد وفاتها بعامين من أرملة لديها ابنة وحيدة، كانت قاسية القلب متحجرة المشاعر، فلم أرَ منها حنانًا ولا عطاءً، وكانت تتعامل مع أبي على أنه مجرد وسيلة للنقود، تعامله بلطف إن أرادت شيئًا وتنهره إذا لم تكن بحاجةٍ لأي شيء، ولكنه لم يقوَ على فراقها برغم كل ذلك، للأسف أحبها بشدةٍ وتعلق بها وكأنها أثمن ما يملك.

كان أبي من رجال الأعمال المعروفين في مجال التشييد والبناء، صاحب شركة (الزهراء تاورز) وكان شريكه في العمل هو عمي، كان ذراع أبي اليمنى وعينه التي يرى بها والعقل المدبر في الشركة، فلم يخطُ أبي خطوة إلا أن يشير إليه عمي أولًا وكان ذلك يشعرني بالضيق أحيانًا، برغم أنني أحببت عمي بشدةٍ وكنت أراه دومًا المثل الأعلى في كل شيء، شخصيته التي تفرض نفسها على كل المحيطين، وسامته ولباقة حديثه، ذكاؤه المفرط الذي اتسم به منذ صغر سنه، كل شيء به يجذب الانتباه.

تزوج عمي من فتاة متوسطة الجمال ولكنها من عائلةٍ كبيرةٍ ذات حسبٍ ونسبٍ، وذلك ما دفع عمي للارتباط بها، فكان يعشق المال والتجارة كعينيه، لم ينجب منها لأسباب صحية تعود إلى زوجته، ولكنه رفض الزواج بأخرى رغم إلحاح أبي عليه.

جميع أفراد العائلة تم تعيينهم في الشركة، وكانت تلك رغبة أبي وعمي لأنهم أهلٌ للثقة عن الغرباء، حتى أنا وأخي بعد تخرجنا من الجامعة مباشرة التحقنا بالعمل هناك.

أحببت ذلك لكن أخي لم يشعر بالراحة فلم تكن تلك أمانيه، وكان على خلافٍ دائم مع أبي وعمي، حتى إنه كان يعامل زوجة أبينا بحدة ويختلق المشاكل كل ليلة معها وتنتهي تلك المشكلة بصريخها وبكائها الشديد والشكوى لأبي فيقوم الآخر بتعنيفه وتهديده بحرمانه من حقه في الأملاك والأموال.

طفح كيل أخي من كل شيء وكان قراره الأخير والنهائي هو الهجرة إلى كندا، وقفنا جميعًا ضد قراره وأقسم أبي بأنه لو أقدم على فعلته تلك سوف يتبرأ منه إلى الأبد وكأنه لم ينجبه، وهذا ما جعل أخي يتمسك بقراره تاركًا خلفه الأهل والمال وأنا. حتى إنه بعد استقراره هناك لم يتواصل معنا بأي شكل، حتى إننا لم نكن على علمٍ بمكان إقامته أو أي أرقام للاتصال به، وفقدت الأمل في عودته أو في التواصل معه مرةً أخرى، واستمرت الحياة كما هي من الشركة إلى المنزل ليلًا

لأواجه معاملة زوجة أبي الغاضبة وتصرفات ابنتها المستفزة طوال الوقت، فكانت تصغرني بثلاثة أعوام ولكننا لم نكن على توافق أبدًا.

لم يكن لي الكثير من الأصدقاء، كان معظم أصدقائي من شباب عائلتي وكنا نتقابل بشكل يومي طوال الأسبوع في الشركة وحتى يوم العطلة كنا نجتمع في منزلنا، فهذا ما تعودنا عليه منذ الصغر وهذا ما كان يشعر أبي بالسعادة.

لم تفترق العائلة لحظة ولم يغب عمي عن أعيننا إلا في وقت عودته إلى منزله للنوم.

زوجة أبي كانت تشعر بالضيق من تلك التجمعات، كانت تعامل الجميع بتعالٍ، وكانت دائمًا ترى نفسها الأجمل والأرقى دون جميع سيدات العائلة، وبذلك فرضت حضورها وشخصيتها عليهن جميعًا وكنّ يشعرن بالغيرة والحقد تجاهها، وعلى عكس ذلك فكانت علاقتها بعمي تسير بشكل أفضل عن الجميع وكانت تصيح دومًا في أبي قائلة: "ليتك مثله، تهتم بأناقتك ولياقتك البدنية وتتسم ببعضٍ من الذكاء الذي يتسم به، فلولاه لكنتم جميعًا تتسولون في الشوارع".

وفي يومٍ من أيام الجمعة التي كنا نجتمع فيها، عرضت زوجة أبي على عمي العمل معهم في الشركة لشعورها بالملل طوال الوقت وإنها على درايةٍ ببعض الأمور للعمل بالشركة نظرا لعملها مسبقًا في إدارة الأعمال في بعض الشركات قبل الزواج من أبي.

رحب عمي بشدةٍ بها، لكن أبي شعر بالضيق ولكنه لم يستطع الرفض بعد موافقة عمي على طلبها، بل إنه استطاع إقناع أبي بأنها ستكون إضافة للشركة لتمتعها بالذكاء والجمال والخبرة.

وبالفعل دخلت الحرباء وكر الثعابين وبدأت في السيطرة على إدارة شتى الأمور في الشركة وذلك بمساعدة عمي، فكان يراها أهلًا لذلك وكان إعجابه يزداد بها يومًا بعد يوم.

كنت أرى بعيني نظراتهم الغريبة لبعضهم البعض وكانوا يجلسون في المكتب الخاص بعمي لساعاتٍ طويلة دون مقاطعة أحد حتى أبي نفسه لم يفعل ذلك.

وعندما أردت لفت نظره إلى ما يحدث، وبخني وقال إنه يثق ثقةً عمياء بأخيه حتى وإن كانت زوجته لعوب عاهرة فلن يقترب منها أبدًا، وقال إنه يستفيد فقط من عقلها وطريقتها في إدارة الأمور، لأنها استطاعت وفي وقتٍ قصيرٍ تحقيق ربحٍ لا بأس به للشركة بل إنها أبرمت أهم تعاقدات مع أكبر رجال الأعمال في الدولة.

ولكن حديثه معي لم ينتهِ على ذلك، فذهب إليها وأخبرها بما يحدث مع أخيه في الشركة وأن الجميع بات يتحدث عنهما حتى إنه أخبرها عما حذرته منه، فما كان منها سوى البكاء والعويل لتعرضها للظلم مني واحتضنت أبي وهي ترجوه لرد حقها واعتبارها بعد الإساءة إليها وإلى عمي، وكان المقابل هو طردي وإقالتي من شركة أبي وبناءً على قراره هو شخصيًّا حتى يُرضي زوجته الحرباء.

لم يعارضه أحد وكأن الجميع وقف ضدي حتى عمي الذي ظننته في يومٍ من الأيام بمثابة أبٍ وصديقٍ لي، كان أول المرحبين بهذا القرار.

بحثت عن العمل بمكانٍ آخر ولكن تطلب ذلك بعض الوقت حتى وجدت وظيفةً شاغرةً بإحدى شركات السياحة، لم تكن الوظيفة الملائمة لي ولكنها أفضل من لا شيء.

كنت مجبرًا على المكوث في منزل أبي لفترةٍ مؤقتةٍ حتى أستطيع تدبير مكان أعيش فيه بعيدًا عن تلك الكريهة وابنتها، ولكن لم تكن النقود متوفرة بعد ورفضت الاقتراض من أبي، فكانت علاقتي به على حافة الهاوية.

وفي يوم عدت مبكرًا إلى المنزل لشعوري ببعض الإرهاق وعندما فتحت باب المنزل وجدت أبي ملقًى على الأرض في حالة إعياءٍ شديد، صرخت واقتربت منه مسرعًا لأتحسس نبضه فوجدته ما زال على قيد الحياة ولكن ضربات قلبه بطيئةٌ جدا.

طلبت عربة الإسعاف وتم نقله إلى المشفى ووضعه في غرفة الرعاية ومنع أي زيارة عنه.

كان الجميع يقف في حزنٍ ودهشةٍ وسألت عمي عما حدث فقال: لا أدري يا بني، كنا نعمل كالعادة ورأيته صباحًا وكان بخير وبعد الظهيرة أتاني إلى مكتبي وقال إنه يشعر بالإرهاق فطلبت منه المغادرة والراحة لبعض الوقت حتى يتعافى ولم أكن أدري أنه كان يعاني بهذا الشكل، هذا كل ما حدث".

وأكد الجميع ما ذكره عمي.

مر أسبوع وكان أبي على نفس الحال وفقدت الأمل في شفائه وشعرت أن الدنيا فارغة حولي وأنني سأفقد قريبًا أغلى ما أملك برغم كل ما فعله معي.

انقطع الجميع عن زيارته حتى زوجته، أما أنا فكنت أذهب كل يومٍ لمتابعة حالته الصحية أملًا في حدوث معجزةٍ ليعود إليّ مجددًا.

وفي يومٍ ما ذهبت صباحًا إليه وما إن رأتني الممرضة التي تتابع حالته أتت إليّ مهرولة وقالت: أين أنت يا أستاذ مروان؟ كنت أحاول البحث عن أي رقم هاتف يخصك هنا ولكن لم أجد سوى رقم عمك.

كاد قلبي يخرج من صدري من الفاجعة وقلت بتلعثمٍ وخوف:

- هل مات أبي؟

نفت ذلك بابتسامة وقالت:

- لقد استعاد وعيه وكان يلح في حضورك إليه بأسرع وقت، ولكن طلب مني ألا أخبر أحدًا بتحسن حالته عداك، لذلك لم أتواصل مع عمك.

عاد إليّ الأمل من جديدٍ وذهبت مسرعًا إلى غرفته وعانقته بشدة ثم أمسكت بيده لأقبلها حتى سال دمعي بين أصابعه.

بكى هو الآخر وقال بصوتٍ حزين:

- سامحني يا بني وأريد من أخيك أيضًا أن يسامحني، لقد ظلمتك وظلمته كثيرًا بسبب الحية التي تزوجتها وبسبب ثقتي العمياء في أخي ولكن ندمت على كل شيء وعرفت الحقيقة التي أخبرتني بها من قبل ولم أصدقك في وقتها.

اندهشت ثم أشرت إليه بعدم إجهاد نفسه بالحديث قائلًا:

- لا عليك أبي، أسامحك وأعرف مدى حبك لنا، وأعرف أن كل ما يحدث ليس لك يدٌ فيه، ولكن المهم الآن هو وجودك معي وسلامتك وتماثلك في الشفاء، لذا لا تقل أي شيء الآن وانتظر حتى تتعافى.

لوّح بيده ورفض أن يصمت وقال:

- لقد رأيتهما هما الاثنان، كانت العاهرة في مكتبه وبين أحضانه وكان يهمس في أذنها بعبارات الحب والشوق، بل إنني سمعته يقول متى سيجمعهما منزلٌ واحدٌ وإنه يتوق لتلك اللحظة، فلم يستطع عقلي وقلبي استيعاب ما يحدث أمام عيني وما تسمعه أذني فصحت بهما وواجهتهما بخيانتهما القذرة ولكنهما بمنتهى الوقاحة أكدا على ذلك وطلب مني أخي تطليقها بهدوء والخروج دون حدوث فوضى وفضيحة فأول من سيوصم بالعار هو أنا.

خرجت من الشركة ولم أكن أدري ماذا أفعل وبحثت عنك واتصلت بك ولكن كان هاتفك مغلقًا وعدت إلى المنزل لأنتظرك لكن

كثرة التفكير والصدمة جعلت قلبي ضعيفًا فلم يقوَ على التحمل ولم أشعر بجسدي بعدها.

عانقت أبي وأمسكت بيده قائلًا:

- لا تقلق يا أبي، سنصحح كل شيءٍ وسنقوم بطردهم خارج الشركة وردعهم وكشفهم أمام كل العائلة.

طلب أبي مني استدعاء المستشار القانوني الخاص بالشركة لفض الشراكة بينهما وشراء كل الأسهم الخاصة بعمي بالشركة ليكون لنا الحق في طردهما إلى الأبد من حياتنا وكان ذلك أكثر قرار صائب يتخذه أبي.

وفي اليوم الذي عاد أبي فيه إلى المنزل طلبت من المستشار القانوني مقابلته هناك وما إن وصلنا حتى وجدناه بالفعل ينتظرنا ولكن لم يكن وحده من ينتظرنا فكان عمي وزوجة أبي وجميع العائلة الموقرة في انتظارنا.

صرخ أبي فيهم جميعًا وأمرهم بالانصراف فلم يعد لهم مكان بعد في هذا المنزل ولم يعودوا يمثلون له أي شيء.

ضحك الجميع في سخريةٍ من رد فعل أبي وكنت مذهولًا من شدة وقاحتهم تلك.

صرخ أبي مرةً أخرى وطلب من المستشار القانوني إنهاء كل الإجراءات في فض الشركة، ليضحك الجميع مرةً أخرى وبصوتٍ عالٍ.

اندهشت وصحت بهم ليفسروا ما يحدث فقال عمي بابتسامة ساخرة:

- عن أي شركة تتحدثان وبأي صفة تطلبان ذلك، كل شيءٍ أمامك ملكي أنا، وأنا من فعلته وأنا من بنيت تلك العائلة بكل فردٍ بها حتى أنتم، والآن وبضميرٍ مطمئن أطلب منك يا أخي المغادرة أنت وولدك هذا، لم يعد لكما مكان بين عائلتي ولا يرغب أحد في معرفتكما مجددًا.

أمسك أبي بقلبه وكاد يتنفس بصعوبة وشعرت بالفزع لأجله، فصرخت بوجه المستشار القانوني ليخبرني بما يحدث فقال:

- أستاذ مروان بالفعل أسهم الشركة كلها وهذا المنزل وحسابات البنوك هنا وفي الخارج ملكًا لعمك وذلك بناءً على رغبة أبيك وبتوقيعه الرسمي على توكيلٍ عام بحق التصرف في جميع الأموال والأملاك لصالح عمك وبذلك قام عمك بنقل ملكية كل شيء باسمه ولم يعد لكما أي شيءٍ أو أي حقٍّ الآن.

نظرت إلى أبي والدموع تنهمر على وجهي وخرجت الكلمات متقطعةً بسبب ارتجاف شفتي الشديد من الصدمة ثم سائلته:

- أبي.. هل فعلت ذلك، عملت هذا التوكيل بالفعل، أجب؟!

أمسك أبي بقلبه بشدة وكان يئن ويتأوه من شدة الألم، وأومأ برأسه أن هذا ما حدث بالفعل فلم يقوَ على الكلام، وفجأة خرج من فمه سائل أبيض اللون ووقعت رأسه إلى الخلف على الكرسي الذي يجلس

عليه وصرخت فيه ليفيق وليقوم أحدهم باستدعاء طبيبٍ ولكن نظر الجميع لبعضهم البعض في سعادةٍ وكان قد فاضت روح أبي لبارئها من شدة الصدمة.

كدت أن أفقد عقلي وهرولت إلى عمي لأحكم قبضتي على رقبته لأقتله ولكن أبعدني الجميع عنه وطردوني مع جثمان أبي خارج المنزل، كم تمنيت أن يكون أخي بجواري في تلك اللحظة، لقد دفنته وحيدًا، لم يأتِ أحد ليعزيني فيه، لم يكن هناك من يواسيني، ولم يعد لي عائلة ولا إرث ولا مكان يأويني، لقد بات العالم أسود قاتمًا في نظري، وبات البشر كالوحوش والأفاعي أمام عيني، أردت الموت، بل أردت الانتقام وقتل الجميع، بل أردت العزلة في مكان ليس به سواي، تشتت عقلي ولم أقوَ على تمييز ما أريده فكان الاختيار أكبر من استيعاب عقلي الذي تهتك من شدة الارتطام على الواقع المرير.

دكتور يونس... هل تخبرني كيف لإنسان تعرض للطعن، الخيانة، الكسر، الجرح، والغش أن يستمر قلبه في النبض بطريقة ما!! كيف؟!!".

ساد الصمت قليلًا ولم أجد ما أقوله لمروان سوى تلك الكلمات:

- ما من ظالم إلا سيُبلى بظالمٍ يا بني.

ابتسم مروان بسخريةٍ قائلًا:

- تُرى هل بالفعل أنا مظلوم وهم من ظلموني، أم أنني وثقت في الأشخاص الخطأ أنا وأبي، وأحببنا بالخطأ والآن نتحمل نتيجة فعلتنا.

أشرت إليه بالنفي قائلًا:

- المشكلة ليست في قلوبنا كما يظن البعض، قلوبكم لم تخطئ عندما أحبت، ولم تخطئ عندما وثقت، ولم تخطئ عندما سامحت، قلوبكم ظنت فقط أن العالم رائعٌ وأن البعض يستحقون الحب والثقة والعفو وبالأخص إن كانوا من المقربين.

ضحك مروان بشدةٍ ساخرًا من حديثي مرة أخرى وقال:

- تقول المقربين، إنهم دائمًا في أول قائمة الأعداء، أتدري لقد اتحد الجميع ضدنا واستولوا على حقي أنا وأخي في التركة، لكن ما حدث بعدها جعل نيران قلبي تهدأ، لقد انقلبوا على بعضهم البعض بعد أن ألقوا بي في الشوارع وكنت أبيت في شقة إيجار في حي شعبي، وعلمت أن زوجة عمي عندما علمت بما حدث معه ومع زوجة أبي وأنه ينوي الزواج منها أخبرت والدها وإخوتها الذين يتمتعون بالسلطة والبطش، فدبروا مكائد لإفلاسهم وبالفعل بعد أشهرٍ قليلة حققوا ذلك، وشب شجارٌ هائلٌ بين أفراد العائلة انتهى بمقتل عمي على يد زوجة أبي لشكها أنه يلعب عليهم ويدّعي إفلاس الشركة، فيقوم الآخرون بضربها حتى الموت بحجة الدفاع عن عمي، وكل منهم أخذ يفكر في طريقة لنهب أكبر قدر مما تبقى من الأملاك والهروب به، لينتهي أمرهم بين القضبان، لم يربحوا أي شيء بل خسروا كل شيء، مثلي تماما.

تعالت ضحكات مروان الساخرة حتى صحت به قائلًا:

- لتهدأ يا مروان، أترى! لقد نصرك الله فإنه يمهل ولا يهمل، فحسابه مؤجل في كل شيء إلى يوم القيامة ما عدا ظلم الناس. فلا بد أن يقتص الله من الظالم في الحياة الدنيا حتى يعتدل ميزان الحياة ويعرف الناس أن الظلم له قصاص دنيوي بجانب قصاص الآخرة.

صدق رسولنا الكريم حينما قال:

"اتقوا دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب، يرفعها الله فوق الغمام ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين".

ما بالك بمن أكل مال اليتيم؟

دمعت عين مروان ثم قال:

- نعم صدق رسولنا الكريم وصدق وعد الله، إن وعد الله حق، يقولون دائمًا فيمن يضرهم إنهم قد عفوا عنهم حتى لا يكون لهم عند الله لقاء ولكني لن أعفو عنهم حتى يسألني الله ولن أغفر، لن أغفر على وجع قلبي وعن بكاء عيني وعن ظلمي وحرماني من أبي وعائلتي ومالي، عن حياتي التي سُلبت مني فأصبحت لا أقوى على العمل بسبب خوفي من التعامل مع أحد من البشر، خوفي من حب أحدهم أو الوثوق بأحدهم بعد تلك الجرائم التي ارتُكبت في حقي من جميع من أحببتهم ووثقت بهم وكذلك موت أبي على يد أقرب الناس لقلبه، كيف يتسنى لي العيش مجددًا بعد كل ذلك وبناء حياةٍ جديدةٍ خاصة بي،

لقد نصحني أحدهم بعد تدهور حالتي إلى الحضور لهذا المشفى وجئت وأنا في قمة يأسي وأعلم أنه ليس هناك أمل في علاج جرحي وترميم ما تبقى من مشاعري والآن تأكدت من ذلك بعد سماع قصص بقية المرضى هنا..... فلا تهلك نفسك بالمحاولة، جميعنا ميؤوس منا.

نظر إليه الجميع وكأنهم يوافقونه الرأي، فكلما قصّ علينا أحدهم قصته تأكد الآخر من قرار عزلته ومن عدم الوثوق في أي شخص مرة أخرى، بل إنهم تأكدوا أن وجودهم معي قد لا يكون به فائدة ولن يعود عليهم سوى بضررٍ أكبر.

ولكن لا بئس، كتفكيرٍ منطقيٍّ هم على حق، ولكن لكل مرض علاج، والحياة لا تتوقف وما زالت مستمرة، لو كانوا فقدوا الأمل فيها لانتهوا من حياتهم على الفور، ولكنهم يريدون المحاولة في استعادة جزءٍ من حقهم في تلك الحياة ولذلك لجؤوا إليّ، لعلني أستطيع تجديد الأمل بداخلهم.

حسنا متشوق الآن للقصة التالية وأظنها متعلقة بأمر ما يخص قضية شرف...

أعتقد أن تخميني صائب، حسنا لنرَ ذلك........

من التالي يا مرضاي البؤساء الأعزاء؟!!

ابتسم الشيخ حامد قائلًا:

- لم يتبقَّ منا سوى شخص واحد يا دكتور يونس، أم أنك لا ترانا جيدًا!!

ابتسمت بشدةٍ قائلًا:

- الشيخ حامد يبتسم ويتحدث وهذا شيء مبشر وبداية لبارقة أمل. حسنا يا شيخ حامد أعلم أنه لم يتبقَّ سوى صديقتنا الهادئة تلك ولكنني أردت الممازحة ليس إلا لأرى تلك الابتسامة العريضة على وجهك.

هيا صديقتنا العزيزة والأخيرة، كلنا آذان مصغية.

*****

قذف المحصنات الغافلات المؤمنات

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

[الأحزاب: ٥٨]

وقال تعالى:

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾

[النساء: ١١٢]

هناك عدة وجوه للظلم، ولكن تأثير هذا الظلم على الأشخاص يكاد يكون متشابهًا رغم تفاوت حدته وتغير الواقعة... فدائمًا يأتي ممن خشينا عليهم يوما من الانكسار.

بدأت المريضة التالية في الارتباك حين وجهت إليها طلبي بالحديث، وكانت تقوم بحركات انفعالية غريبة، كانت ترتدي حجابًا طويلًا وبدأت في شده لأسفل وكأنها تريد إخفاء معالم جسدها كلها، ثم فشلت في جذبه فبدأت تتمتم بكلماتٍ غريبةٍ ومن أسفل الحجاب قامت بإدخال يدها وشد بعض خصال شعرها الذهبي بقوة ثم تلقيه على الأرض.

كانت شديدة الجمال، بيضاء صافية الوجه، وعيناها كلون البحر وزادها الحجاب جمالًا.

فما الذي دفعها للجنون والاكتئاب؟

شرد تفكيري بها قليلًا ثم استعدته بعد لحظات وطلبت منها الهدوء وعدم تقطيع شعرها، وأن تتحلى بالشجاعة لتحكي لنا قصتها.

ثم بدأت حديثها بصوت هادئ ورقيق قائلة:

- "أنا..... ياسمين... عمري ستة وثلاثون عامًا وأعلم أنني أبدو أصغر من ذلك، فكان زوجي أقصد طليقي يخبرني بهذا دومًا.

تزوجت منذ عامٍ ولكن تم خطبتي لأكثر من شخصٍ قبل زواجي ولم أجد فيهم ما تمنيته في فارس أحلامي وكانت أمي هي من أقنعتني بالارتباط بهم، فهي كأي أمٍّ تريد أن تسعد بزواج ابنتها قبل فوات أوان عمر الزواج كما كانت تقول، فعمر الزواج بالنسبة لهم أقصاه خمسة وعشرون عامًا.

توفى أبي وأنا صغيرة في الكويت، فكان يعمل هناك في إحدى المدارس ولكن لا أعلم سبب وفاته الحقيقي حتى الآن وكلما طلبت من أمي أن تحدثني عنه تغضب بشدةٍ وتطلب مني عدم الخوض في تلك السيرة مرة أخرى.

جميع من تقدم لخطبتي كانوا بالنسبة لأي فتاة كما يقولون (عريس لقطة) ولكني لم أجد معهم السعادة، أنعم الله عليّ بجمال حسدني الكثير عليه وجعل الكثير يحاولون التقرب مني ولكني لم أبالي لأيٍّ منهم، شخصٌ واحدٌ فقط من دونهم شعرت بجاذبيةٍ غريبةٍ تجاهه، كان زميلي في كلية تجارة ولم يكن مثل البقية الذين يحاولون التقرب مني والمداومة على لفت نظري ومغازلتي وهذا ما أثار انتباهي له، في البداية كان مجرد إعجاب بشخصيته المميزة، ثم تحول الإعجاب إلى حبٍّ من طرفٍ واحد، بدأت أراه في أحلامي وتشتت عقلي من كثرة التفكير به ولم أكن أدري ماذا أفعل، وعندما فاض الكيل تحدثت مع صديقةٍ لي وأخبرتها عما أعانيه من فرط حبي له، كانت تنصحني بضرورة التلميح له بأي شكل، وإنه لن يجد فتاة أجمل مني وهذا ما سيجعله يتقرب مني ويبادلني نفس شعوري.

لم أقوَ على فعل ذلك، فذهبت هي وأخبرت حبيبها عن قصتي وكان هو الصديق المقرب لذاك الشخص، فذهب إليه وأخبره.

شعرت بالغضب الشديد من صديقتي وعنفتها كثيرًا على فعلتها تلك، ولم أقوَ على الذهاب إلى الجامعة بعدها ببضعة أيام.

حتى فوجئت ذات يوم برقمٍ غريبٍ يحاول مرارًا وتكرارًا الاتصال بي وفي آخر محاولة أجبته، وكنت مترددةً جدًّا في بدء حديثي:

- مرحبا، من أنت؟!

جاءني صوته الهادئ ليخبرني:

- أنا يوسف، ألا تميزين صوتي.

ارتبكت بشدةٍ وسألته عن سبب اتصاله فأجابني:

- معذرة لأنني طلبت من صديقتك نور رقم هاتفك، فلقد قلقت عليكِ بسبب عدم حضورك لعدة أيام وليس تلك عادتك، فأنا أعرف عنكِ الانضباط والاجتهاد.

اندهشتُ كثيرًا قائلة:

- تعرف عني أنا!! كيف؟

ضحك بخفة:

- لا تتعجبي يا ياسمين، أعلم حقيقة شعورك تجاهي، وهل تظنين أنني لا أبادلك نفس الشعور، مخطئة لو ظننتِ ذلك، فالقلوب والعيون ما بينها مراسيل، وعندما ينبض قلبك لشخص ما، اعلمي جيدًا إنه يبادلك نفس الشعور.

- ولكنك لم تحاول التقرب مني أبدًا، أو التلميح أو حتى النظر إليّ، فكيف تبادلني نفس الشعور.

- ياسمين أنتِ فتاةٌ جميلةٌ وعلى خلقٍ، يحاول الجميع التقرب منكِ ولكنك أبيتِ حتى صداقتهم وكنت أراقب تصرفاتك دومًا معهم، فخشيت الاقتراب منكِ حتى لا تتسببي في إحراجي كالبقية ولن أتحمل وقتها تلك الخيبة، فقررت أن أخفي شعوري حتى يحين الوقت المناسب إن أراد الله.

شعرت بالخجل وبالسعادة في نفس الوقت لأنه يبادلني نفس الشعور، وطلب مني الحضور إلى الجامعة حتى لا تفوتني محاضرات أكثر من ذلك، وبالفعل في اليوم التالي ذهبت إلى هناك وبحثت بنظراتي المتلهفة لرؤيته عنه في كل مكان حولي، حتى وجدته أمامي بابتسامته العفوية الرائعة.

تكررت لقاءاتنا معًا وزاد تعلقنا وحبنا لبعضنا البعض، وطلبت منه تأجيل خطبتنا حتى أنتهي من الدراسة وقد تبقى القليل فكنا في الفرقة الرابعة وقتها.

كان يوسف يحبني بجنونٍ كحبي له، واهتمامه بي جعلني أشعر وكأنني ابنته الصغيرة المدللة وعوضني عن حرماني من حب وحنان أبي الذي لم أذقه يومًا ولا أتذكره.

أخبرت أمي عنه ورحبت بخطبتي له بعد التخرج وبالفعل طلبت منه زيارتنا ولكنه طلب مني أن أمهله بعض الوقت حتى يتسنى له إخبار أهله.

ولكني أصبت بالخيبة بعدها عندما حدثني قائلًا:

- ياسمين، أنتِ تعلمين جيدًا كم أنا أحبك ولا أريد من الدنيا سوى أن أكون معك ولا أتمنى زوجةً لي إلا أنتِ.

شعرت بالقلق وطلبت منه التحدث بوضوحٍ فقال بصوتٍ حزين:

- لقد رفض أبي ارتباطي بكِ ولكن ليس من أجلك، وإنما لرغبته الشديدة في زواجي من ابنة عمي، حتى لا يخسره فكان هذا وعده له منذ صغرنا وقد تعلقت الفتاة بي بشدة، وعندما ناقشته ووضحت له مدى حبي لكِ وأنني لن أقوى على التفريط بكِ، كاد قلبه يتوقف وظل يصيح بي، فشعرت بالخوف عليه و.............

قاطعته بانهيار تام وأغلقت الهاتف، فقد علمت ما ينوي قوله في النهاية، كان سيقول تلك هي النهاية.... بعد كل هذا الحب والاهتمام والأمل.. فاستسلمت للأمر الواقع والتزمت الصمت بصحبة خيبتي.

علمت بعدها من صديقتي خبر زواجه من ابنة عمه وشعرت بمرارة الغيرة والغضب في حلقي حتى تسللت إلى قلبي، ووجدت نفسي أقف أمامه في يوم زفافه، أنظر إلى كليهما بغضبٍ وكان مصدومًا من حضوري ورأيت في عينيه دموع الندم وحرقة الفراق ولاحظت عروسه ما يحدث وسألته مرارًا.. من تكون تلك؟

انصرفتُ حاملةً خيبتي وما تبقى من حبي له، ولكن على الحياة أن تستمر وعلى يقينٍ أن الله سيعوضني عنه بالأفضل ودعوت الله بالقدرة على التخطي والنسيان، ومع الوقت بدأت جروحي تلتئم

وبدأت أرى الحياة بصورة مختلفة وكنت أوافق على الارتباط بكل شخصٍ رشحته أمي لي ولكن بعد عدة شهور أفسخ الخطبة.

ذات يومٍ وبعد مرور أربعة أعوام من زواج يوسف اتصل بي قائلًا بصوتٍ حزين:

- أفتقدكِ وأشتاقكِ، ولم أنسَكِ ولو للحظة، ولم أشعر يومًا بوجود زوجتي فلم أقوَ على محوك من قلبي ومن ذاكرتي فلم أبادلها أي شعور وكنت أتخيلها أنتِ حتى أستطيع لمسها، ولكن يئست ومللت تلك الحياة من دونك، وسأتزوجك رغمًا عن الجميع.

صرخت فيه:

- ماذا تقول؟! وكيف أتيت بكل تلك الجراءة حتى تحدثني وتخبرني بقصتكَ تلك، إياك أن تتفوه بكلمةٍ واحدةٍ أخرى، واعلم أنني قد تعافيت من حبك ومن جرح تركك لي، والآن تطلب مني الزواج وأنت متزوجٌ من أخرى ولديك أبناء بالتأكيد، ارحل بعيدًا عني يا يوسف ودعني لحياتي ومصيري وقريبًا سأتزوج أنا الأخرى.

صرخ فيّ قائلًا:

- حسنا يا ياسمين سأتركك الآن ولكنني على يقينٍ من عودتك إليّ مرةً أخرى وأنكِ ما زلتِ تحبينني ولن تعشقي غيري ولن تتزوجي من غيري وإلا قلبت حياتك رأسًا على عقب وجعلتها جحيمًا إذا حاول أحدهم الاقتراب منكِ.

أغلق الهاتف، وشعرت بالخوف بعدها، فماذا يمكن أن يحدث لو جن جنونه بالفعل، فأخبرت أمي بما فعله، وقررت الذهاب إلى والده ليقوم بدرئه بعيدًا عنا ووعدها بذلك وقام بتهديده وتعنيفه، ووصل الأمر لعلم زوجته وشبّ خلافٌ قويٌّ بينهما وكان يصر على تطليقها حتى اعترض عمه ووالده قراره وأجبروه على التراجع عنه وأصلحوا ما بينهما من أجل أطفالهما.

عادت الحياة لمسارها الطبيعي بعد ذلك وتوقف يوسف عن ملاحقتي واطمأن قلبي بانتهاء هذا الكابوس.

تقدم شخص آخر لخطبتي، وخشيت رفضه تلك المرة فقد تجاوزت الثلاثين عامًا، كان يكبرني بعشرة أعوام ولكنه ميسور الحال صاحب معرض سياراتٍ كبير، فوافقت على الارتباط به وخلال أشهرٍ قليلةٍ تزوجنا وأصبحت داخل بيته.

لا أنكر شدة حبه لي ولكنني لم أكن أبادله نفس الشعور، كنت أفتعل ذلك حتى لا يغضب مني، أو لأنني أردت أن أوحي لنفسي هذا الحب لعله يتحول إلى حقيقةٍ مع الوقت.

طلب مني ارتداء الحجاب الشرعي فلم أكن قد ارتديته بعد، فكانت غيرته لا تطاق، حتى إنه قام بسجني في منزلي ونادرًا ما كان يخرجني منه، أو يسمح لي بالذهاب لأي مكان دون مرافقته، حتى أمي كان يطلب منها المكوث معنا أغلب الوقت حتى لا أطلب منه زيارتها.

شعرت بالضيق وعدم القدرة على تحمل تلك الحياة وكنت أتناول حبوب منع الحمل خوفًا من أن يكون هناك رباطٌ أقوى بيننا وهو إنجاب طفل، وكنت أتحجج عند سؤاله لي عن التأخير كل شهر بسببٍ مختلف، كشعوري بالإرهاق والتأثير النفسي على حدوث الحمل وإننا ما زلنا في أول الشهور منذ أن تزوجنا ولكنها مرت وكأنها أعوامٌ كثيرة.

مع الوقت شعر بحقيقة مشاعري تجاهه وأنني لا أتحمل وجودي بين يديه وتوقفت عن إتقان التمثيل بالحب والاهتمام فقد ضاق بي صدري للحد الذي بدأ يظهر على وجهي ما أخفيه.

تبدلت أحواله معي وظهر وجهه السيئ الذي كان يخفي معظمه طوال الوقت، وزادت الخلافات في حدتها حتى إنه بدأ في توبيخي بطريقة مهينة ووصل الأمر به للتطاول باليد.

لجأت إلى أمي وتوسلت إليها لتخليصي منه، وعرفتها رغبتي في العودة إليها والعيش معها حتى لو لم أتزوج طوال عمري، ولكني صعقت من رد فعلها؛ رفضت مساعدتي نهائيًا وأصرت على عودتي لمنزل زوجي وأن أحسن معاملته وأحاول كسبه من جديد.

لم أصدق ما فعلته، فاتصلتْ به وطلبتْ منه تأديبي على ألا أكرر غيابي عن المنزل مرةً أخرى وألا أطالبه بالانفصال أبدًا.

ظننت في البداية أنها فعلت ذلك من أجل استقراري ومن شدة خوفها وحبها لي، ولكن بعد مرور شهرين من تلك الواقعة فوجئت بخبر زواجها من شخصٍ ما، وعندما واجهتها ردت بمنتهى الأريحية

والهدوء أن هذا حقها، الذي صبرت عليه حتى أتزوج وأنها أفنت عمرها لأجلي ولا يحق لي محاسبتها، وكانت آخر كلماتها المميتة بالنسبة لي، ألا أفكر في العودة مرة أخرى لمنزلها نظرًا لوجود رجلٍ غريبٍ عني وقد تصيبها الغيرة إن جلست معهما في مكان واحد.

لم يستوعب عقلي ما يحدث وكنت منهارة بشكل جعلني أفكر في الانتحار للتخلص من كل تلك الآلام، ولكني تراجعت خوفًا من غضب الله وانتظرت حلول السماء فقد نفدت حلول الأرض.

مرت الأيام شبيهة ببعضها البعض تكسوها الهموم والأحزان والصراعات والملل، حتى حدثني أحدهم على الهاتف لأجده يوسف مرةً أخرى، وعندما ميزت صوته أغلقت الهاتف في الحال، وبعد لحظاتٍ أرسل لي رسالة نصية كتب فيها: "حبيبتي ياسمين لقد علمت بكل ما حدث معك، وأدرك كم معاناتك مما يحدث، وما يفعله زوجك الحقير معك من معاملةٍ غير آدمية، ولذلك قررت محادثتك لمساعدتك على الهروب منه والخلاص من تلك الحياة البغيضة، وسأكون بجوارك بعدها لأعوضك عن كل الألم وهذا وعدٌ مني بذلك".

صعقت من رسالته، وعلى الرغم من أنني تمنيت الخلاص مما أنا فيه إلا إنني رفضت الانصياع إليه، فليست تلك أخلاقي ولا هذا طبعي، ووضعته على قائمة الحظر حتى لا يستطيع التواصل معي مرةً أخرى.

ولكن حدث ما لم أتوقعه، خلافاتي مع زوجي أدت إلى تسلل الشك بداخله وكان يفتش هاتفي كل ليلةٍ دون علمي في أثناء نومي وفي ذاك

اليوم نسيت حذف تلك الرسالة من يوسف وفوجئت بعدة صفعاتٍ على وجهي وأنا غارقةٌ في النوم فاستيقظت مفزوعة وكأنني أعيش كابوسًا مرعبًا، وواجهني بتلك الرسالة وتلجمت في الدفاع عن نفسي وشرفي ثم صرخت وصرخت حتى بح صوتي ولم أشعر بالحياة بعدها.

أصبت بالانهيار العصبي واستيقظت وأنا ملقاة على فراش في أحد المستشفيات وطلب زوجي من الطبيب سرعة خروجي وسيقوم الآخر بملاحظتي وتجنب أي حزن أو غضب قد يصيبني، وللأسف صدقته وعدت معه إلى المنزل ولكن لم أعلم أنه ينوي تعذيبي حتى ينتقم من خيانتي التي ظن أنني وقعت بها.

أصبحت سجينةً في غرفةٍ صغيرةٍ بالمنزل، يلقي بها فتات الطعام يوميًّا وكانت فارغةً تمامًا حتى إنه وضع عليها سياج من حديد على نافذتها حتى لا أستطيع الهروب أو طلب المساعدة من أحد.

وفي يوم كنت أغفو من شدة الإعياء على أرضيتها وإذ بصوت شجارٍ حادٍّ بين رجلين يأتي من خارج الغرفة، ليفتح أحدهما الباب فجأةً وكان هو زوجي وصرخت حينما رأيته ممسكا بيوسف وكان وجهه مغطى بالدماء من شدة الضرب.

التصقت شفتاي من الصدمة ولا أدري بما يحدث وما الذي أتى بيوسف إلى المنزل، فنظر إليّ بعينين دامعتين وكان زوجي يركله بشدةٍ أمامي قائلًا:

- هيا قل.. كم مرة أتيت إليها وعاشرتها هنا في بيتي وعلى فراشي؟! كنت تأتي كل يومٍ أليس كذلك؟! لقد وشت بك زوجتك وابنة عمك حتى تنتقم من خيانتك لها ووقعت بين يدي الآن ولن أرحمك.

صرخت ونطقت أخيرًا قائلةً:

- لم يأتِ أبدًا هنا صدقني، أقسم بالله لم يحدث ذلك، ولم أرَه من قبل منذ سنوات، وعندما أرسل تلك الرسالة حظرته حتى لا يستطيع الوصول إليّ.

صاح زوجي مرةً أخرى وهو يسدد عدة لكماتٍ به قائلًا:

- تظنينني مغفلًا لأصدقك أيتها الزانية، لقد رآه بعض الجيران يحوم حول المنزل كل يوم، فكيف لي أن أصدق ادعاءك بالشرف يا حقيرة.

صاح يوسف بصوتٍ ضعيفٍ منهك القوى:

- إنها أشرف منك ومن كل النساء، ولم تخن نفسها قبل أن تخونك أبدًا وأبت أن تحادثني، أنا من سعيت إلى الوصول إليها، أنا من حرضتها ولكنها أبت، أنا من طاردها وحاول معرفة عنوان سكنها من صديقتها وكنت أجلس كل يوم أمام المنزل لعلني أراها وأطمئن أنها بخير وعندما شعرتُ بشيءٍ ما يحدث قررت تحطيم الباب حتى أراها حتى وإن كان ثمن فعلتي هو حياتي.

ضحك زوجي بسخريةٍ قائلًا:

- بالفعل سيكون الثمن حياتك وستموت أمام عين حبيبتك حتى تتذكر تلك اللحظة طوال عمرها.

صرخت فيه ليتركه ولكنه أحكم قبضته على رقبة يوسف ولم يتركه إلا وهو جثةٌ هامدة.

ثم مزق ثوبي ونقلني إلى الفراش وقام بعدها باستدعاء الشرطة مؤكدًا أنه قتله دفاعًا عن شرفه وبمساعدة الشهود الذين رأوه أمام المنزل وبمساعدة ابنة عمه أيضًا.

ومن خلال عرضي على الطب الشرعي ثبت أنه لم يقم أحدهم بالمساس بي منذ شهور وثبت وجود كدمات وندوب بأماكن متفرقة بجسدي نتيجة تعذيبه لي وأيضًا حالة الضعف الشديد التي حلت بي من قلة الطعام والشراب، لذلك لم تثبت ضدي واقعة الزنا وحكم على زوجي بالسجن المخفف لمدة سبع سنوات بتهمة إلحاق الضرر النفسي بي وتعذيبي والطعن في شرفي وبتهمة القتل دفاعًا عن النفس فقد أثبت محاولة يوسف لاقتحام المنزل وقام الآخر بالدفاع الشرعي ضده لتعديه عليه وعلى حرمة منزله ولكن لم يحصل على البراءة نتيجة لعدم إثبات سلامة نيته وقت ارتكاب الجريمة.

وطلقت بعدها بأمرٍ من المحكمة وذهبت إلى أمي فما وجدت منها سوى أنها رفضت فتح الباب لي ووبختني وأمرتني بالابتعاد عنها.

ضاقت الدنيا بي وكاد الحزن يسيطر على دقات قلبي ليوقفها وحاولت الانتحار على قضبان القطار ولكن أحدهم أعادني إلى الحياة وأتى بي إلى هنا.

لا أريد هذا الجمال، ولا الحب، ولا البشر، أريد أن أذهب لخالقي فهو أحن من الجميع".

انهارت ياسمين بالبكاء الشديد بعد أن انتهت من قصتها، وأدمعت عين الجميع حولها وكان أكثر المتأثرين بقصتها تلك هو مروان الذي حاول مواساتها وطلب منها أن تكف عن البكاء.

ثم طلب مني قول أي شيء يهون عليها مرارة شعورها.

شردت قليلًا في قصتها وبعد لحظات استحضرني قصة عن قذف المحصنات المؤمنات فقصصتها عليها قائلًا:

- بالطبع تعلمين جيدًا جزاء قذف المحصنات أمثالك عزيزتي، وما ينتظرهم من عذابٍ في الآخرة، هل سمعتِ من قبل عن المرأة التي قذفت ميتة في أثناء تغسيلها؟

نفت ياسمين معرفتها بالقصة.

أكملت حديثي طالبًا منهم الإصغاء جيدًا:

- "في عهد الإمام مالك بن أنس رحمه الله، توفيت امرأة ودخلت عليها مغسلة لتغسيلها وتكفينها، وفي أثناء صبها للماء على فرجها قالت: "كثيرًا ما زنى هذا الفرج".

قول يقشعر له الأبدان ويا له من قول، والغريب أنه بذات اللحظة التي نطقت فيها تلك الكلمات التصقت يد المغسلة بجسد المتوفية وكأنّ هناك مغناطيسًا شديد الجذب، حاولوا فكها ولكن دون جدوى فشاوروا العلماء، قال أحدهم تقطع يد المغسلة لأن للميت حرمة كحرمة الأحياء، ومنهم من قال يقطع الجزء الملتصق من الميتة بحجة أن الحي أولى من الميت فرفض أهل المتوفاة فعل ذلك واشتد الخلاف حتى قال أحدهم: كيف نختلف وبيننا الإمام مالك. ثم ذهبوا إليه وشاوروه فسأل عما قالته المغسلة في أثناء الغسل وعندما أخبرته قال:

- إن هذا قذف، وحد القذف هو الجلد ثمانين جلدة كما جاء في كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً ﴾

وأمر الإمام بجلدها وعندما فعلوا ذلك إذ بيدها تنفك عن جسد الميتة.

أترين.. لقد فضحها الله أمام الجميع وبرأ الميتة أمامهم أيضًا، إن ربك لبالمرصاد.

كفاكِ بكاءً يا عزيزتي فسيقتص الله لكِ في الدنيا وفي الآخرة.

لكن أتدرون كنت أشك في شيءٍ ما حينما سمعت حكاياتكم والآن تأكدت من صحة ما ظننته".

سألني الجميع عما أفكر به.. فقلت بدهشة:

- حكاياتكم جميعها ما هي إلا سرد لـ (السبع الموبقات) التي حذرنا منها رسولنا الكريم.

قاطعتني ماريان قائلةً:

- عفوا، أنا مسيحية ولا أعلم عما تتحدث عنه ولكنني أعلم السبع خطايا المميتة، حدثني عن هذا الحديث!

ابتسمتُ لماريان قائلًا:

- نعم يا أميرة أعلم السبع خطايا المميتة ولكن السبع الموبقات في دين الإسلام مختلفة ومعروفة... بداية من قصة الشيخ حامد وموضوع (الشرك بالله) ووصولًا إلى ياسمين التي طرحت موضوع (قذف المحصنات المؤمنات الغافلات).

أشار إليه مروان قائلًا:

- نعم والسحر وما حدث لماريان وقصتي مع أكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرم الله مع مجاهد وأكل الربا في قصة سهير...! كيف هذا؟! أم إنها مجرد صدفة!

صمت الجميع في دهشة ثم قطع صمتهم الشيخ حامد قائلًا:

- إن كانت حكاياتنا هي السبع الموبقات، فنحن ستة أفراد فقط وهناك حكاية ناقصة والخاصة بـ (التولي يوم الزحف) كفى دكتور يونس، أنت تتوهم أشياء وتريد إثارة شكنا نحن أيضًا وهي مجرد صدف ليس إلا لتجمعنا هنا.

ضحكت بخبثٍ ثم صدمتهم بقولي:

- رقم سبعة من تلك الموبقات خاص بي أنا.

شهق الجميع من الدهشة، فكيف يكون الطبيب المعالج لهم هو أحد شركائهم في المرض وفي السبع الموبقات.

قال الشيخ حامد:

- حسنا.. جاء دورك أنت يا دكتور يونس في الحديث، ودورنا في الإصغاء والحكم على مرضك وقصتك حين تنتهي منها.... هيا عرفنا عن نفسك وما حدث معك.. هيا.

ابتسمت قائلًا:

- لم لا، إن كان ذلك يسعدكم، على الرغم من أنه سري الكامن بقلبي منذ سنوات، لكننا أصدقاء الآن وعلى كل منا السماع لقصة الآخر...

*****

التولي يوم الزحف

كنت وحيد والديّ، كان أبي هو أحد الجنود المصريين الذين شهدوا نصر السادس من أكتوبر، هذا النصر العظيم، الجنود المصريون هم خير أجناد الأرض، وهم درع الحماية الوطنية وكنت أفتخر دومًا بين أصدقائي أن أبي من هؤلاء الشجعان رغم خوفي الشديد عليه، فكنت أسمعه دائمًا وهو يروي لأمي قصصًا عن أصدقائه الشهداء الذين ضحوا بدمائهم فداءً للوطن وكانت أمي تبكي حينها خوفًا من أن يأتي هذا اليوم الذي يصبح اسمه فيه من ضمن أسماء الشهداء.

كانت عملية الإعداد لحرب أكتوبر كبيرة ولها عدة جوانب، منها السياسي والاقتصادي والعسكري والشعبي والحكومي..

والجميع شارك في تلك الإعدادات من جيش وشعب وحكومة، في ذاك الوقت كانت فترة تجنيد أبي أوشكت على الانتهاء وانتظرنا عودته إلى المنزل للاستقرار معنا دون خوف، كنت صغيرًا جدًّا ولا أعرف قيمة الدفاع عن الوطن وقيمة الانتصار فلم يحدثني أحدهم عن ذلك من قبل، وقبل تسريح أبي من الجيش صدر قرارٌ من القوات المسلحة بعدم تسريح أي من الجنود والاحتفاظ بالقوة الرئيسية من المجندين حتى إن بعضهم استمر تجنيدهم لمدة سبعة أعوام.

قبل الحرب بأيام عاد أبي إلى المنزل وكان الحزن يسيطر على ملامح وجهه فسألته أمي عما حدث فقال بصوتٍ مرتجف يشوبه الخوف:

- لقد جئت اليوم لأودعكما، هناك أمر عظيم سيحدث ولا ندري ما هو، وأمر القادة معظم الجنود الذين لديهم رغبة في رؤية أحبائهم بالعودة إليهم قبل بدء معسكر ما في سيناء، شعرت بالخوف فقد سئمت رائحة الدم وصوت المدفعيات ورمال الصحراء، كنت أظنني نجوت حينما شارفت على الانتهاء من مدة خدمتي ولكن دائمًا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، ولولا لوم الجميع والفضيحة لتغيبت عن كل هذا ولكنهم لن يتركوني أعيش في سلامٍ بعدها.

صاحت أمي بوجهه وكنت أراقب حديثهما ولا أعي ماذا يحدث، فقالت أمي:

- أراك تتحدث كالجبناء أمام ولدك الذي يفتخر بكونك أحد الجنود المصريين، ماذا بك؟ ولماذا أنت دون غيرك من أصدقائك تتحدث دومًا عن الخوف وعن الموت، على الرغم من أن الجميع يتمنى الشهادة في حب الوطن، أنت عارٌ على الجيش المصري لمجرد حديثك هذا.

اندهش أبي من رد فعلها القوي فسألها:

- ألا تخشي عليّ من الموت والفراق، ستصبحين أرملة حين ذاك وسيصبح ابنك يتيما، ألا تخشين ذلك؟!

- لا أخشى ذلك، وموتك غير مؤكد، فربما تعود إلينا منتصرًا فخورًا بشجاعتك، وحتى إن نلت الشهادة ستترك لابنك أغلى إرثٍ في الوجود، وهو اسمك وشرفك ووسام شجاعتك.

- لا أصدق حديثك!

- لا... يجب عليك تصديقه ويا ليتني كنت صماء حتى لا أسمع ما تفوّه به فمك.

- حسنا... أتتمنين موتي، سأريحك مني إلى الأبد وسأعود لكتيبتي لأواجه مصيري، لقد ندمت على صراحتي معكِ وإذا كان لنا لقاء آخر، سأحاسبك على كل كلمة.

قبلني أبي وتركنا عائدًا إلى كتيبته، ضمتني أمي إلى صدرها وهي تبكي، فسألتها بعفوية الأطفال:

- لماذا تبكين يا أمي؟ وهل تريدين بالفعل موت أبي؟!

أمسكت وجهي بيديها بقوةٍ وقالت بحزم:

- حبيبي والدك هو أحد الجنود المصريين، والجندي الشجاع لا يخشى الموت أو الحرب، جعلهم الله في مكانة عظيمة لأنهم يقومون بحماية أرض الوطن وحمايتنا، قال رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام "عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله". وهؤلاء الجنود هم من يبيتون لحراسة حدود

الوطن، أي في سبيل الله وعليهم التصدي للعدو بكل ما أوتوا من قوة، والجميع يتمنى أن يحرر الوطن من العدو الصهيوني وأن يرحل عنا إلى الأبد وذلك هو دور قادتنا في القوات المسلحة وجنودنا الشجعان، ووالدك يجب أن يحارب معهم حتى لو ضحى بدمه.. فهمت؟!

فهمت وقتها سبب تعنيف أمي لأبي بهذه الطريقة، وفهمت قيمة أن يكون الرجل شجاعًا ومرت عدة أيام وتفاجأنا جميعًا بالخبر العظيم وهو عبور القنال، وملأت أصوات التكبير والتهليل كل شارع في مصر، وكأنه يوم زفاف عالمي، تعالت زغاريد أمي وجميع الجيران ونظرت إلي في سعادةٍ قائلةً:

- لقد فعلوها يا بني... لقد انتصرنا على اليهود، فعلها أبوك وأصدقاؤه الشجعان.. قل معي: "تحيا مصر، تحيا مصر".

رددتها مع أمي وكان جسدي يرتجف من هول ما يحدث من أصواتٍ صاخبةٍ وفرحةٍ لا مثيل لها.. وانتظرنا بعدها عودة أبي إلى المنزل بسلام..

مر شهران كاملان دون خبرٍ عن أبي، وبدأت أمي رحلة البحث عنه في جميع المستشفيات والتواصل مع جميع القادة بالقوات المسلحة للبحث عنه، ولكن لم يرَه أحد..

حتى صادفت في أحد المستشفيات جنديًّا من الجنود المصابين يصيح عليها حينما سمع اسم والدي وهي تسأل عنه.

أسرعت أمي إليه بلهفة، فقال:

- أعرفه جيدًا، إنه صديقي ولكن بعد الحرب تغيرت فرقتنا فكل منا ذهب لعمليةٍ مختلفة، ولكنني أظن أنه استشهد هو وكل كتيبته وهذا ما سمعته.. لقد أمر قائدهم بالتحرك بسيارته في اليوم الرابع من الحرب والتقدم لمسافة كيلو متر كامل في عمق سيناء للوصول إلى منطقة الممرات في عمق الممرات، ولكن أصيبت سيارتهم بدانة مدفع إسرائيلي قبل وصولهم وعلمنا باستشهادهم جميعًا.... البقاء لله.. كان بطلًا من الأبطال الشجعان.

بكت أمي بشدةٍ وبكيت معها فحاولت أن تهون عليّ فراق أبي قائلةً:

- لا تبكِ حبيبي وارفع رأسك وافتخر بأبيك الشهيد البطل.

مرت عدة أيام على خبر وفاة أبي، وفي يوم كنت ألعب في مدخل العمارة الخاصة بشقتنا مع أبناء الجيران، وإذ بأحدهم يمسكني بقوةٍ من كتفي، صرخ الأطفال وكأنهم رأوا شبحًا والتففت للخلف في ذعر، لأجده أبي، كان يقف مبتسمًا، دامع العينين وملابسه متسخة تمامًا، فصرخت مفزوعًا ظانًّا أنه شبح أبي وأسرعت إلى أمي مرتجفًا لا أقوى على الحديث.

سألتني عما حدث فلم أتفوه بكلمة ثم أشرت إليها إلى باب الشقة، لتشهق في ذهولٍ حينما رأت أبي يقف أمامها بشحمه ولحمه، هرولت إليه وضمته وهي تبكي من فرط السعادة على عودته سالمًا وأنه ما زال على قيد الحياة.

مر بعض الوقت وكنت أحاول استيعاب ما يحدث وجلست في حضن أمي وأنا أنظر إليه متأملًا ملامحه لعلني أصدق عودته إلينا حيًّا.. ثم سألته أمي:

- أين كنت طيلة تلك الشهور؟!... لقد بحثت عنك في كل مكان وسألت جميع من يعرفونك عن مكانك، حتى أخبرني صديقٌ لك أن الكتيبة الخاصة بك تم استهدافها واستُشهد الجميع بما فيهم أنت، ولم يتم العثور على جثمانك نظرا لتمزق معظم الجثامين ودفنت في مقبرة جماعية، فأين كنت من كل ذلك؟!

تلعثم أبي قليلا ثم قال منكسًا رأسه لأسفل:

- بالفعل استشهد كل من بالكتيبة، منذ أن بدأ الاشتباك في اليوم الأول للمعركة، أصبت برهاب شديد من قسوة ما رأيته وحاولت التماسك قدر المستطاع، حتى تحقق الانتصار، وقمنا بعدها بملاحقة العدو في كل شبرٍ في سيناء للقضاء على ما تبقى منهم، حتى جاء هذا اليوم الذي أمرنا فيه قائدنا بالتوجه إلى الممرات الضيقة في شمال سيناء، شعرت بخوفٍ شديدٍ وبدأ جسدي يرتجف، وأيقنت أن الموت

يقترب منا، فحذرت أصدقائي ولكن لم ينصت أحدهم لي ووبخوني كثيرًا، فقذفت خارج السيارة قبل وصولها لنقطة الاشتباك ورأيتها تنفجر بمن فيها بعد عدة أمتار، اختبأت من الجنود الإسرائيليين بين الجبال وعلمت أنني كنت على حق، ليتهم أنصتوا لحديثي وصدقوه، كنت أجوب الصحراء مختبئًا هنا وهناك باحثًا عن أي دليل أو شخص ينقلني إلى هنا ويمدني ببعض الطعام والشراب، حتى وجدت واحةً صغيرةً بها بعض البدو الذين يعملون لصالح الجيش المصري، رحبوا بي بشدةٍ واعتنوا بي لعدة أيام حتى تهدأ الأمور حولهم، وبعدها طلبت نقلي إلى هنا وجئت في إحدى سيارات الجيش.

صرخت أمي:

- تركت أرض المعركة؟!

صاح بها بغضب:

- بل نجوت بحياتي، كدت أُقتل معهم.

- بل هربت، ليتك لم تأتِ أبدًا وتركتنا نظن أنك من ضمن الشهداء الأبطال، لقد حل بنا العار أيها الجبان.

صاح فيها لتصمت ولكنها استمرت في توبيخه ثم سألته:

- كيف تركك الجيش هكذا دون معاقبتك؟!

- ولماذا أُعاقَب، لقد أخبرتهم أنه من هول الانفجار سقطت بعيدًا عن السيارة ونجوت من الموت وقد سعدوا كثيرًا ببقائي على قيد الحياة.

- لقد ادعيت الشجاعة وأراهن أنك لم تطلق رصاصةً واحدةً على العدو من سلاحك، أليس كذلك؟

صمت أبي.

فصاحت أمي في وجهه:

- سوف أخبر الجميع عن خيانتك وخوفك لتنال ما تستحق، فلا تستحق لقب الجندي المقاتل ولا أن يكون اسمك من ضمن أسماء المقاتلين في تلك الحرب العظيمة.. أنت خائن.

صفعها أبي بقوةٍ وتركنا بعدها ورحل خوفًا بأن تشي به أمي، ولم أرَهِ منذ ذلك الوقت.

عاش جبانًا واختفى مع عاره، وعاشت أمي حزينةً محاولةً نسيان ما حدث ونسيانه إلى الأبد وحرصت على بث الشجاعة بداخلي، ولكن ما تم كسره يصعب إصلاحه من جديد، أثر فيّ كل ما حدث، وجعل مني شخصًا انطوائيًّا وحزينًا، برغم أن أمي تكتمت عليه خوفًا على مستقبلي وحتى لا ألقب بابن الجبان، كانت تقول أنه ارتكب إثمًا عظيمًا من الكبائر وهو التولي يوم الزحف، لقد هرب من أرض المعركة وترك أصدقاءه يواجهون مصيرهم وحدهم، لقد هرب من انفجار السيارة والنعيم الذي كان ينتظره في الآخرة مخلدًا فيه، وجزاؤه نار جهنم يصلاها إلى الأبد...

توفت أمي بعد عدة سنوات وتركتني وحيدًا، عشت لحظاتٍ قاسيةً محاصَرًا بالذكريات السوداء ومحاطا باكتئاب كاد يخنق أنفاسي، ولكن لم أستسلم لأحقق طلب أمي قبل وفاتها وهو النجاح في دراستي وتفوقي ومواصلة حياتي، وبالفعل حاولت المواصلة والنجاح، ونظرًا لشدة الضرر الذي لحق بنفسيتي من قبل، قررت أن أمارس مهنة الطب النفسي ومساعدة من مر بظروفٍ صعبةٍ ومؤلمةٍ على تخطيها مثلما فعلت ولكن دون مساعدة أحد...

والآن أنا بينكم هنا، لكن أتدرون، الجرح لم يلتئم وفقدان أمي ما زال يؤلمني والذكريات تطاردني، لذلك عشت وحيدًا، وفضلت تلك الوحدة على أن يقترب مني أحدهم ويرى حقيقة ما أخفيه من نفسٍ ضعيفةٍ ومرهقةٍ تزهد الحياة.

ضحك مروان قائلًا:

- وكيف ستعالجنا يا دكتور يونس وأنت مثلنا ولم تجد لنفسك علاجًا؟!

- لأن فاقد الشيء يعطيه، وهذا واجبي.

قالت سهير بسخرية:

- إنها كذبة، أنت تحتاج لطبيبٍ يعالجنا جميعًا، لقد أثبت فشلك فلا تحاول إقناعنا بعكس ما نراه ولكن لا نخفي أننا استمتعنا لبعض الوقت بالحديث معًا، نشكرك على كل حال.

صاحت ماريان:

- وماذا بعد؟! ماذا سنفعل وإلى أين سنذهب؟

قال الشيخ حامد في دهشة: دكتور يونس... لماذا نحن بالذات؟!

اندهشت من سؤاله قائلًا: عفوا.. لا أفهم معنى سؤالك!

- لقد قمت باختيارنا نحن الستة فقط دون بقية المرضى.. فلماذا؟

- لأن حالتكم صعبة غير البقية، يمكنهم تخطي ألمهم ومواصلة العلاج مع أي طبيب مبتدئ، أما أنتم أثرتم انتباهي وقررت البحث معكم عن حل لحالتكم، ولا أخفي عليكم علني أجد علاجًا لحالتي في أثناء ذلك.

- نعم، فهمت، تحقيق مصلحة لك ليس إلا.

صحت بغضبٍ في الشيخ حامد: بل لنا جميعًا.. ليس لديكم بديل، وأنا من أمهر الأطباء هنا، ولن أجبر أحدًا على الاستمرار، فمن كان يريد الرحيل فليرحل، ومن يريد البقاء والاستمرار معنا مرحبا به.

انتظرت قرارهم، وساد الصمت، ونظر الجميع إلى بعضهم البعض، ياسمين في حالة ارتباك وتقطع بعض الخصل من شعرها، ماريان احتضنت كلبها روميو في خوف، ارتجفت يد الشيخ حامد بشدةٍ وسقطت منه المسبحة، مروان يحملق في سقف الغرفة بنظراتٍ ثابتة، سهير تمسك بيدها المجروحة فيتساقط منها بعض قطرات الدماء، ومجاهد يحرك رأسه يمينًا ويسارًا بشكلٍ هستيري.

تركتهم في صمتهم دقائق قليلة، ثم صحت قائلًا:

- هيا... أنتظر ردكم؟ أترحلون أم نواصل معًا وإنهاء ما بدأناه؟!

قال الشيخ حامد: ليس لديّ ما أخسره وسواء شفيت أم لا لن يتغير شيء ولكن سأحاول معك.

عقبت ماريان: أنا أريد الطعام والمأوى لي ولروميو فقط، سأمكث هنا، فأنا ضريرةٌ ولا أقوى على فعل شيءٍ لنفسي.

ومن بعدهم وافق الجميع على البقاء معًا.

شعرت بالنصر بداخلي، لقد جعلتهم يتحدثون أولا بعد صمتهم الغريب، ثم جعلتهم يقررون بأنفسهم دون ضغطٍ عليهم الاستمرار في العلاج والمكوث معي، والآن عليّ التفكير فيما هو قادم وماذا سأفعل معهم في المرحلة القادمة من العلاج.

*****

المدينة الفاضلة (يوتوبيا)

حلم أفلاطون

"نحن لا نبحث عن حياةٍ مثالية، لكننا نبحث عن حياةٍ سعيدة"

فهل تكمن السعادة في عالمٍ بلا خطيئة؟!

إذا كانت الخطايا هي سر انكسار النفس وفقدان الأمان والسكينة، فبالتأكيد عدم وجودها يجعل الحياة أفضل، وقلوب البشر تصبح نقيةً كنقاء الماء.

نأمل، نتخيل، نبحث، نحاول، ولكن بالأخير نعود إلى ما نحن عليه، فهكذا بدأت الحياة منذ بدء الخليقة، صراعٌ يدور بين بني آدم والشياطين، الشيطان يتحدانا من البداية في قدرته بالسيطرة على النفوس الضعيفة وتسميم الأفكار ومحو الأخلاق للحث على فعل الموبقات وجميع الخطايا، فهل من طوق نجاة؟ أم يستمر الصراع والخوف إلى أبد الدهر؟!

عاد الجميع إلى الغرف الخاصة بهم ليلًا على وعدٍ بلقائهم في الصباح، ويجب أن يكون بين يدي أحد الحلول للبدء في رحلة علاجهم، ذهبت إلى فراشي، ولكن غادر النوم عينيّ من كثرة التفكير على الرغم

من شعوري بالإرهاق الشديد، وعندما يئست من النوم، دخلت إلى حجرة مكتبي، وجلست على كرسيه أترنح يمينًا ويسارًا شاردًا في قصة كل مريض..

أغمضت عيني بضيق وخنقة وخرجت من صدري تنهيدة عالية تنم عن الحيرة الشديدة المسيطرة على عقلي، وفتحت عيني فجأةً ليقع نظري على أرفف الكتب أمامي، توجهت إليها ولا أعلم لماذا، وبدأت في البحث بينها عن اللا شيء، ليمر الوقت ليس إلا، حتى أمسكت بكتابٍ قديمٍ احتفظت به منذ دخولي الجامعة، أحببته كثيرًا وقرأته عدة مرات.

كتاب (الجمهورية) للمؤرخ والفيلسوف أفلاطون.

وضعته أمامي على المكتب وبدأت في تصفحه..... وفجأة لمعت عيناي وشعرت أنني أمسكت بطرف الخيط.. ورددت في ذهني اسم (المدينة الفاضلة).. نعم نحن لا نريد سوى مدينة فاضلة.. المدينة التي حلم بها جميع الفلاسفة وتمنوا تحقيقها على أرض الواقع ولكنهم فشلوا جميعًا رغم كل أبحاثهم ومحاولاتهم، حتى توقف التفكير فيها عند (الفارابي) الفيلسوف الإسلامي.

لم يكن هذا الكتاب الأول الذي تحدث عن المدينة الفاضلة، فهناك أيضًا كتاب (يوتوبيا) مؤلفه القديس توماس مور، إذا عجز الفلاسفة الكبار عن تحقيق أحلامهم، فمن الجائز أن يكمن السر في أضعف الخلق مثلي، ولِمَ لا؟!

لم تتمكن أيّ من المجتمعات الإنسانية من تنفيذ حلم المدينة الفاضلة على أرض الواقع منذ عهد أفلاطون وحتى الوقت الحالي، مبررين ذلك بغياب الواقعية عن أفكار أفلاطون، فهي لا ترقى لمحاكاة الفكر البشري.

بدأت في قراءة أهم المبادئ التي ذكرها أفلاطون في كتابه وتوقفت لحظات في التفكير عند كل مبدأ منها.

"المدينة الفاضلة... توفر السعادة لكل شخصٍ يسكن فيها.

المدينة الفاضلة... جميع ممتلكاتها هي ملكية عامة ولا وجود للملكية الخاصة.

المدينة الفاضلة... عبارة عن ثلاث طبقات من السكان، أوصياء ومحاربون ومزارعون.

المدينة الفاضلة... أساسها التعاون بين الكافة وكأنهم في وحدةٍ واحدة".

ابتسمت محدثًا نفسي: ما أروعك يا أفلاطون.. سأخلد ذكراك ولكن بصورة مختلفة، فإذا كان من الصعب تنفيذ هذا الحلم في الواقع على كل المجتمعات الإنسانية... فماذا لو تم تطبيقه على مجتمعٍ صغير، أي عدة أشخاص، وإذا نجح الأمر سينتشر حتمًا بين الجميع بسرعة البرق، والتقليد الأعمى يسري في عروقنا كالدماء، فحتمًا

سيقومون بتقليد الفكرة في مجموعات تلو الأخرى حتى تنتشر في العالم بأكمله.

حسنا أيها البائسون المرضى، أردتم العزلة فليكن، أردتم عدم الاختلاط ببقية البشر فليكن، أردتم الأمان والراحة بعيدًا عن ضجيج العالم وغدر المحيطين فليكن.

وليأتِ عهدٌ جديدٌ بقيادة الدكتور (يونس أفلاطون) فشاهد يا أفلاطون تلميذك الجديد يونس الذي سيتفوق على تلميذك القديم (سقراط).

صباح اليوم التالي ذهبت بحماس إلى المشفى عازمًا على اتخاذ عدة قرارات، توجهت مسرعًا إلى حجرة مدير الموارد البشرية حاملًا بيدي ورقة، طرقت الباب ثم نظرت إليه وعلى وجهي علامات السعادة قائلًا:

- إليك هذه..

اندهش المدير ثم أمسك بالورقة وبعد أن انتهى من قراءتها فتح فمه عن آخره ثم صاح: ما هذا يا دكتور يونس، لا أصدق ما تراه عيناي، أحقا ستقدم على تلك الفعلة؟!

- نعم... وقراري لا يحتمل النقاش أو الرفض.

- ولكن لماذا؟ هل حدث أمر ما أزعجك؟!

- بالطبع لا... أنا أعمل هنا منذ سنوات ولم أنعم يومًا بالراحة، وبت أشعر أنني في حاجة ماسّة إليها، أريد بعض الاستجمام والسكينة فيما تبقى من العمر.

- حسنا لك هذا، تستحق إجازةً طويلة، وكيفما شئت، لكن ما الداعي لتلك الاستقالة؟

- أرجوك.. لا تناقشني فيها، لقد اتخذت قراري بلا رجعة، والآن دعني أودع المكان والمرضى.

- سنفتقدك كثيرًا دكتور يونس، وخسارتنا فادحة، ولكن أتمنى لك كل التوفيق والسعادة وأرجو ألا تندم في يومٍ ما على قرارك، وإن حدث ذلك، فمرحبا بك في أي وقت.

خرجت من الحجرة منتشيًا وتمايلت بجسدي وأنا أدندن بعض الموسيقى حتى وقف أمامي شخصٌ ما جعل وجهي متجهمًا فجأة.

ابتسم ساخرًا مني وقال بخبث:

- تُرى.. ما سر تلك السعادة التي تكسو ملامحك والتي لم نرَها من قبل يا دكتور يونس؟!

تملقته من أعلى لأسفل بنظراتٍ مشمئزةٍ قائلًا:

- ابتهج، فلن ترى هذا الوجه مرة أخرى.

ظهرت على وجهه السعادة فكانت تلك أمنية حياته.

- حقا! إلى أين أنت ذاهب يا يونس؟

- إلى الجحيم يا دكتور وليد، لقد قدمت طلبًا باستقالتي، تركتها لك، فافعل ما تشاء.

- ليتك فعلتها منذ سنوات، رأيي فيك لن يتغير، لم تكن صالحًا أبدًا لتلك المهنة وهذا التخصص بالذات، ونصحتك كثيرًا بالبحث عن علاج لشخصيتك غير المتزنة وغير السوية، تصالح مع نفسك ليومٍ واحد واعترف بمرضك النفسي الخطير.

صرخت في وجهه:

- إذا كنت مصابًا بمرضٍ نفسيٍّ خطير، فهذا يدعو إلى أن تتلاشاني تمامًا حتى لا يظهر الوجه الآخر الآن ويقوم بـ.............

قاطعني دكتور وليد:

- تقوم بماذا!... بضربي بشكل مبرح كما فعلت من قبل، وكسر يدي مرة أخرى، وتبرر فعلتك بعدها بأنك فعلت ذلك تحت ضغطٍ عصبيٍّ شديد!

- لم أكن أبرر وقتها... بالفعل لم أشعر بنفسي.

- عمومًا.. خير ما فعلت.. دع ما فات إلى ما فات ولا داعي الآن للسلامات.

تعالت ضحكاته وأردت الانصراف سريعًا من أمامه حتى لا يسيطر الغضب عليّ مرةً أخرى وأهشم كل عظامه.. استدرت مبتعدًا عنه.

فقال بسخرية:

- بالمناسبة يا دكتور يونس، لا تقلق على الحالات الخاصة بك، هؤلاء المرضى الستة، سوف أعتني بهم جيدا، لقد كتب الله لهم النجاة بابتعادك عنهم.

تنفست بعمق، وأسرعت مبتعدًا عنه دون أن ألتفت للوراء.

دكتور وليد هو زميلي بالمشفى ولكننا لم نكن على وفاق، كان يختلق المشاكل معي طيلة الوقت وكأني عدوه، يشعر بالضيق كلما رآني، يعترض كلما اقترحت سياسة معينة في علاج المرضى، يتأفف لو مدحني شخصٌ ما، بحثت عن سبب تلك العداوة تجاهي دون البقية ولم أتوصل لشيءٍ بالتحديد، ففسرت ذلك بطبيعته الدفينة التي تحمل الحقد والضغينة تجاه كل شخصٍ ناجح، وتلك الصفات يجب ألا يتحلى بها الطبيب النفسي، ولكن لا أبالي وسوف أترك له الجَمل بما حمل كما يقولون، يظن أنه أخيرًا سيرتاح بعدم رؤيتي ولكن أنا من سيسعد أكثر بتلك الخطوة، فكفاني مضيعة للوقت وإهدار لصحتي.

أسرعت للحجرة التي يجتمع بها مرضاي الستة، جلست على المقعد أمامهم وأمرتهم بالجلوس والإنصات جيدًا لما أقوله:

- حسنا يا أعزائي، لا مزيد من الفضفضة والثرثرة اليوم، لقد استمع كل منكم لقصة الآخر وأصبحنا الآن عائلةً واحدة، وبالتأكيد نشعر

بمعاناة بعضنا البعض، أعلم أنكم تنتظرون اليوم أول خطوة في العلاج، ولكن اعلموا أولا أنني ضحيت بشيء عظيم لأجلكم وسأكرس بقية حياتي لكم، ولكن بشرط...

نظر الجميع إليّ في حيرة وصمت فتابعت حديثي بعد أن أثرت انتباههم:

- الشرط هو (الثقة).. نعم.. الثقة، وأعلم أنه من الصعب عليكم الوثوق بأحدهم مرةً أخرى وأن هذا سبب مرضكم ووجودكم هنا، ولكن أنا الطبيب المختص بحالاتكم وعليكم الوثوق بي مجبرين، فليس لديكم حل بديل ولن تخسروا أكثر مما خسرتموه.

ساد الصمت قليلًا.. قطعه الشيخ حامد قائلًا:

- ماذا تريد منا بالتحديد؟! وما الذي تنوي فعله؟

_ حسنا.. اسمعوا وعوا... لقد سهرت طوال الليل أبحث عن حلٍّ جديدٍ في طرق العلاج، ولا أخفي عليكم أنني تأثرت بشدة مما تعانوه وما أعانيه أيضًا مثلكم، فجميعنا نحتاج للعلاج، الراحة، الابتعاد، والصمت، ولن تجدوا هذا هنا في المشفى ولن تجدوه أيضًا في الخارج وسط المجتمع، فلن يرحمكم أحد...

لن أتحدث عنكم، ولكن سأتحدث عنا بصيغة الجمع، فجميعنا في مركب واحد، نحن نريد المثالية، نبحث عن السكينة والأمان.

قال مروان في دهشة: نعم نريد ذلك.. ولكن كيف؟!

- هذا هو السؤال، الجواب يكمن في تجربةٍ فريدةٍ من نوعها، سنخوضها جميعًا، لعلنا نستطيع تغيير العالم... السؤال الذي يطرح نفسه الآن.. ماذا لو؟

ماذا لو خلقنا عالمًا خاصًّا بنا، بعيدًا عن المجتمع، عن الحقد، الخيانة، الغدر، القتل، والخذلان، ماذا لو خلقنا لأنفسنا "عالم بلا خطيئة"؟!

ضحك مجاهدٌ بسخريةٍ قائلًا:

- ماذا يا دكتور يونس! نهاجر إلى المريخ مثلًا؟!

ابتسم الجميع بسخريةٍ، فتابعت حديثي:

- أصبت يا مجاهد، سوف نهاجر جميعًا، ولكن ليس إلى المريخ، كوكب آخر لا يوجد به سوانا.

قالت ماريان في دهشة: دكتور يونس، تحدث بوضوح واشرح ما تنوي فعله.

- بعد تفكيرٍ عميقٍ توصلت إلى خوض تلك التجربة، جميع العلماء والفلاسفة العظام كانت أمنيتهم المستحيلة والوحيدة هي بناء مدينة فاضلة، بعيدًا عن الخطايا والجرائم، بعيدًا عن السلطة والوساطة والطبقات المجتمعية التي يعلو فيها الغني على الفقير والقوي على الضعيف، لقد خطط لها الفلاسفة منذ زمن وفشلوا في تطبيقها على نطاق واسع في العالم، فلمَ لا نطبقها نحن ولكن على نطاقٍ ضيق،

بمعنى سنذهب جميعًا ونعيش معًا في مكان بعيد عن المجتمع، نخلق القوانين بأنفسنا، نتحد على عدم ارتكاب أي خطأ، نتشاور في كل الأمور بمنتهى الديمقراطية..

- ولكن أين سنجد هذا المكان المناسب؟!

قالتها سهير بتعجبٍ فأجبتها:

- لديّ المكان... منزل كبير أملكه.. قمت بشرائه منذ أعوام للاستجمام فيه، يقع في مكانٍ بعيد بالساحل الشمالي، ولكنها منطقة نائية بعيدة عن صخب المدينة وبعيدة عن تجمعات القرى الساحلية، سوف نذهب جميعًا ونخوض التجربة معًا ولكن دون أن يعلم أحد...

- "ماذا تقصد؟"

قالتها ياسمين في دهشة، فقلت:

- لا يجب أن يعلم أحد بوجودنا معًا هناك، لتلاشي الثرثرة والأسئلة ولعدم معرفة ما نخطط له، حتى ننجح في تجربتنا..

سألني الشيخ حامد:

- حسنا متى؟ وكيف سنفعل ذلك؟!

- سوف أنتظركم الليلة خارج المشفى في سيارة تحملنا جميعًا، وستتسللون جميعًا الواحد تلو الآخر دون أن تلفتوا الأنظار، والأمر

بسيط فأنتم لديكم حرية التنقل، أنتم في مشفى وليس معتقلًا... اتفقنا أم ماذا؟!

نظر الجميع لبعضهم البعض للحظات ثم أشاروا بالموافقة.

وقفت مبتسمًا، سعيدًا بنجاح أول خطوة.

- سوف أجهز كل شيء، وأوفر كل ما نحتاجه هناك، إلى أن ألقاكم.

تركتهم وذهبت لتجميع كل متعلقاتي من المشفى ثم غادرت للتسوق قليلًا والاستعداد للرحلة الجديدة والحياة الجديدة.

في ساعةٍ متأخرةٍ من الليل وقفت بسيارتي بعيدًا عن أسوار المشفى حتى لا يلمحني أحد ولا تلتقطني كاميرات المراقبة، وانتظرت خروج أصدقائي من البوابات..

بعد لحظات تسلل الواحد تلو الآخر من البوابات وأسرعوا إلى السيارة، ثم رحلنا مسرعين متوجهين إلى عالمنا الجديد.

كانت رحلةً طويلةً والطرق تكاد تكون مظلمة تمامًا، ولكن وصلنا بسلامٍ قرابة الفجر وكنا منهكي القوى تمامًا.

وقف الجميع متأملين المكان، منزل كبير في أرضٍ واسعة، مكونٌ من طابقين ومحاطٌ بالأشجار الضخمة وسط رمال الشاطئ البيضاء، توغلت الحشائش به وذبلت الأشجار لعدم اهتمام أحد به، ولم أقم به من قبل.

وضعت في الداخل القليل من الأثاث وبعض الأجهزة في حجرة الطعام، تغطي الأتربة كل شيء فطلبت منهم مساعدتي في تنظيفه بعد أن ننال قسطًا بسيطًا من الراحة، كانوا يتفقدون المكان هنا وهناك في حالة من الصمت..

لكن ياسمين وقفت في منتصف المنزل أمام الباب في حالةٍ من الخوف، فسألتها عما بها ولماذا ترتجف هكذا فقالت:

- لماذا وضعت سياجًا على النوافذ وعلى الباب؟!

- هذا طبيعيّ، المنزل بعيد عن أعين البشر ومن السهل أن يقتحمه أحد اللصوص ويسرق ما به من أجهزة وأثاث، فوضعت تلك السياج حتى أقوم بتأمينه دون الحاجة لحارس.

- حسنا، لا أشعر بارتياح لهذا المكان، يذكرني بما فعله زوجي السابق بي وأشك أنني أستطيع المكوث فيه، تفوح منه رائحة الخوف بشدة.

- عزيزتي، أنتِ تتوهمين ذلك، فلا تحكمي عليه قبل أن تعتاديه، صدقيني ستنعمين بالراحة هنا أكثر مما تتخيلين، يكفي أن تجلسي في شرفة غرفتك بالأعلى وتستمتعين بالهواء النقي ولون البحر مع أصوات الموج.

قاطع مروان حديثنا قائلًا:

- أنا أيضًا أشعر بنفس الشيء، المكان هادئٌ لدرجةٍ غير عادية وكئيب وشعرت بطاقةٍ سلبيةٍ هنا أكبر من تلك التي تسيطر عليّ.

فجأة اجتمع الجميع مرددين كلمات مروان وياسمين، صحت فيهم بغضب:

- لقد عقدت اتفاقًا معكم من البداية، وأخبرتكم أن المنزل في مكان بعيدٍ عن أعين البشر وهذا ما أردتموه جميعًا، فلا داعي لكل تلك الترهات والثرثرة الآن، لنمكث فيه ولو لأيام قليلة ولنرَ ما سنفعله.

صعد الجميع لأعلى وقام كل منهم باختيار غرفةٍ خاصةٍ به وقام بترتيبها وتنظيفها، لقد استهلك تنظيف المكان وترتيبه وقتًا طويلًا، حتى انتهينا عند غروب الشمس.

الإضاءة ضعيفة إلى حدٍّ ما، فكانت معظم المصابيح تالفةً مع مرور الوقت ولكن لم أكترث لهذا، فالأضواء العالية تزعجني بشدة وتشعرني بنوع من الارتباك والغضب، وقفت في حجرة الطعام لتحضير وجبةٍ مميزةٍ لهم بمساعدة ياسمين وسهير وماريان، ما زالت ياسمين في حالة من الذعر غير المسبب ولكن مع الوقت ستجتاز كل ذلك.

تناولنا الطعام وطلب الجميع الذهاب إلى النوم، وصعدنا جميعًا لنرتاح بعد هذا العمل الشاق وأيضًا لننعم بقليل من الدفء في هذا الطقس البارد.

في صباح اليوم التالي استيقظنا جميعًا لنبدأ يومًا جديدًا، ظننت أن كل شيء يسير على ما يرام ولكن لم أدرِ أن أحدهم يفسد كل خططي دون علمي.

في هذا اليوم بالمشفى، ذهب دكتور وليد لتفقد المرضى نظرًا لتكلفيه باستكمال علاجهم بدلًا مني ولكنه عندما فوجئ باختفائهم جميعًا مما أثار شكه، أمر الجميع بالبحث عنهم في كل ركن بالمشفى ولكن دون فائدة، فذهب مسرعًا لحجرة المدير ليسأله:

- صباح الخير يا دكتور بدر... أردت سؤالك عن شيء ما.

- أهلا دكتور وليد، حسنًا ما هو؟

- هناك ستة مرضى رحلوا تقريبًا من المشفى فهل علمت بذلك مسبقًا؟!

- أي مرضى؟

- هؤلاء الحالات الخاصة بدكتور يونس والذين كلفت بمتابعتهم من بعد رحيله.

- نعم عرفتهم، ولكن كيف رحلوا؟! لم يخبرني أحد.. لا تشغل بالك دكتور وليد فربما حزنوا بمغادرة يونس فرحلوا من بعده، وأنت تعلم أيضًا أنه من كان يتكفل بإقامتهم وعلاجهم هنا، فمن سيفعل ذلك من بعده، انتبه فقط بالحالات الأخرى فلن نجبر أحدًا على المكوث هنا.

- أتفهم ذلك يا دكتور بدر، ولكن لماذا رحلوا جميعًا؟! ولماذا في نفس اليوم الذي رحل فيه يونس؟ ولِمَ لمْ يخبروا أحدًا قبلها؟!

- دكتور وليد، دعك من تلك الأمور وباشر عملك كالمعتاد.

خرج وليد من حجرة المدير ولكن لم يترك الأمر يمر بسلامٍ فذهب إلى حجرة الأمن وطلب منهم مراجعة الكاميرات فوجد الست حالات في أثناء خروجهم متسللين من باب المشفى ولكنهم ذهبوا من شارعٍ خلفيٍّ فلم يرَ إلى أين ذهبوا.

حاوطه الشك وربط رحيلهم برحيلي وبدأ بالبحث خلفي لعله يصل إلى شيءٍ ما يرضي غروره وفضوله لينتقم مني، علمت كل ذلك فيما بعد.

هنا في منزلي الكبير وبعد مرور عدة أيام نفد الطعام الذي قمت بشرائه من قبل، فذهبت بسيارتي إلى أقرب ماركت على بعد عدة كيلو مترات من المنزل وعندما عدت سمعت ياسمين تتحدث بلهجةٍ حادةٍ معهم وعندما دخلت سكت الجميع.

- ماذا يحدث هنا؟ أتتشاجرون معًا؟! لقد اتفقنا أن هذا المنزل بلا خطايا أي أنه لن أسمح بحدوث شجار هنا.. ولكن يمكننا تبادل الآراء فيما بيننا بهدوء.

قال الشيخ حامد بغضب:

- مدام ياسمين تطلب منا الرحيل وتتهمنا بانعدام النخوة والأخلاق، كيف تتهمني بهذا وأنا رجل دين وخطيب مسجد والجميع

يحترمني، لم آتِ إلى هنا يا دكتور يونس معك، حتى يقوم أحدهم بتوبيخي هكذا، فأين المنزل الفاضل؟!

نظرت إلى ياسمين بغضبٍ متسائلًا:

- تعلمين أن هناك قواعد لهذا المنزل، فلماذا تتجاوزين تلك القواعد، أتريدين الخضوع للعقاب؟!

ضحكت ياسمين بصوتٍ عالٍ بسخرية ثم قالت:

- أنت ستعاقبني أنا! من المفترض أنك طبيبنا الخاص، وأننا أتينا إلى هنا حتى تتحسن حالتنا النفسية، وأن هذا المنزل سيكون بمثابة المدينة الفاضلة، أي مدينة فاضلة تلك التي يجلس بها المحارم معًا.. ثلاث نساء وأربعة رجال لا يعرفون بعضهم البعض، لا نعمل لنطعم أنفسنا ولكننا نعيش عالةً عليك، وكم من الزمن سنمكث هنا على هذا الحال؟! ولو استمررنا هل تظن أننا سنتحسن... لا تخدع نفسك وتخدعنا يا دكتور.. نحن لن نتحسن بتلك المعيشة ولا في هذا المكان، نعم نريد الصمت والعزلة ولكن في مكانٍ آمن، وبتوفير حياةٍ كريمةٍ نكسب قوتنا بمجهودنا ولكل منا عالمه الخاص، فلا داعي لمكوثنا في مكانٍ واحدٍ ونحن غرباء عن بعضنا البعض، ظننت أن الشيخ حامد أول من سيوافقني نفس الرأي ولكنه أول المعترضين.

قاطعها مجاهد:

- أنا أوافقكِ الرأي، لم أقتنع بفكرة عالم خاص بنا تلك، ولن تنفعنا بشيء، بل سيزداد الأمر سوءًا بوجودنا هنا.

شعرت بغضبٍ شديدٍ لرد فعلهم قائلًا:

- أنتم تعترضون الآن بعد أن تركت كل شيء لأجلكم وعقدت معكم اتفاقًا، لقد أصبحتم بمثابة عائلتي الوحيدة وتعلقت بكم والآن تريدون الرحيل وإن رحلتم فهل لكم ملجأ سوى المشفى أم ستمكثون في الشوارع؟!

صمت الجميع عدا ياسمين فقالت:

- حقا أندهش من كونك طبيبًا، تلك أسوأ وسيلة للعلاج، مشكلتي أنني لم أعد أثق بأحد والآن تأكدت أنني لن أتعافى أبدًا من تلك المشكلة، أنا لا أثق بكم جميعًا وحتى أنت يا حضرة الطبيب لا أثق بك أبدًا وتبدو غريب الأطوار ومريبًا، سوف أغادر في الصباح حتى لو لم يكن لي مأوى وللجميع حرية الاختيار.

نظر إليها مجاهد بإعجابٍ قائلًا:

- سوف أرحل معكِ يا جميلة، فرأيك صائبٌ بكل تأكيد.

نظرتْ إليه باستحقار ثم قالت:

- ما بك أنتَ أيضًا، دعني وشأني.

ثم تركتنا وصعدت لأعلى، وقام مروان بتوبيخ مجاهد واتهامه بسوء الأخلاق وإنه لاحظ نظراته لياسمين ويلاحقها أينما كانت.

صحت بهم ليتوقفوا عن الحديث والمجادلة، وشعرت بخيبة أمل شديدة بعد مرور عشرة أيام فقط، كنت أظنهم سيحققون حلمي

وسيتحدون معي، لكن خربت ياسمين كل شيء، صعدت أنا أيضًا إلى غرفتي حاملًا خيبتي وتركت البقية بالأسفل.

طلبت ماريان من مروان الخروج معها لتستنشق بعض الهواء، فكانت تخشى أن تضل طريقها لعدم رؤيتها، فاصطحبها إلى الخارج بمرافقة كلبها.

سارت معه في صمتٍ قليلًا ثم سألته:

- ماذا ستفعل يا مروان، سترحل؟

- لا أعلم حقًّا ماذا أريد، ولكن لا ضرر في وجودي هنا ومنذ أن تعرفنا على دكتور يونس لم أرَ شيئًا يجعلني أخشاه أو أشكك بأخلاقه، وقد يحزن كثيرًا لو فعلنا جميعنا ذلك.. وأنتِ؟

- من البداية كان طلبي الوحيد هو مأوى لي أنا وكلبي وها أنا أجلس هنا معكم ولا أفكر بشيءٍ آخر، سأكمل معكم.

وبعد لحظات شعرا ببرودة الجو، فطلب منها مروان العودة إلى الداخل، ولكن حدث شيءٌ أثار انتباههما، نبح كلبها وهو يشمشم ويلهث على بقعة في الأرض أسفل شجرةٍ ضخمة، وحاولت ماريان جذبه بعيدًا من طوق رقبته ولكنه لم يتوقف، اندهشت ماريان وطلبت من مروان التحقق من الأمر، فأمعن النظر أسفل الشجرة ولكن لم يرَ أي شيء غريب ولم يتوقف الكلب عن النباح، وبدأ بنبش الرمال، اندهش مروان لما يفعله فنبش معه الرمال وبعض لحظاتٍ قليلةٍ شهق مروان بصوتٍ عالٍ ثم وقع على الأرض، صرخت ماريان:

- مروان.. ماذا حدث، مروان أين أنت؟!

تلعثم مروان وبدأ قلبه يخفق بشدةٍ ثم أجابها بذعر:

- هناك... هناك هيكل لجثة إنسان.

صرخت ماريان وأمسكها مروان من يدها عائدًا إلى المنزل، ثم صاح بصوتٍ عال:

- دكتور يونس، أسرع إلى هنا يا دكتور يونس.

خرجت من حجرتي مسرعًا، متوجهًا إلى الأسفل وسألت مروان في ذعرٍ عما يحدث، فقال وهو يرتجف:

- هناك.. بالخارج.. هيكل لجثةٍ مدفونةٍ أسفل شجرة.

ارتبكت بشدة وتسمرت في مكاني صامتًا لبعض الوقت حتى صاح الشيخ حامد:

- لمن تلك الجثة يا دكتور يونس، ولماذا دفنت هنا؟ أم أن هناك جريمة غامضة لا يعلم بحدوثها أحد؟!

شعرت بثقل في لساني فجأة، وخرجت معهم لأتحقق من الأمر، وبالفعل وجدنا الهيكل أسفل الشجرة... جلست بجوارها في هدوءٍ قليلًا، ثم استعدت اتزاني من جديدٍ لأشرح لهم.

- تعالوا إلى الداخل أولا وسوف أشرح لكم كل شيء، رجاء لا تقلقوا ولا تخافوا.

جلسنا جميعًا بالداخل ونظر إليّ الجميع مترقبين ما أنوي شرحه لهم.

- وقت الدراسة كنت أحضر أنا وبعض أصدقائي إلى هنا للمذاكرة في جوٍّ هادئ وتعلمون أن الأطباء قد يحتاجون إلى أجزاء من جثة أو جثة كاملة للتطبيق العملي عليها، فاشتركت أنا وزملائي بالاتفاق مع شخصٍ من حراس المقابر على توفير جثة لنا وقام بذلك مقابل مبلغ من المال وأحضرناها إلى هنا بعيدًا عن منازلنا حتى لا يصاب أحد بالذعر، وبعد تشريحها قمنا بدفنها هناك حتى لا نقع تحت المساءلة القانونية.. هذا كل شيء.

قال مروان بسخرية:

- وهل يحتاج الأطباء النفسيون لمثل تلك الأمور؟! لا أظن. التخصصات الأخرى هي من تحتاج لذلك.

نظرت إليه بغضبٍ ولم أجبه حتى وجهت إليّ سهير سؤالًا آخرَ:

- لقد أخبرتنا من قبل أنك قمت بشراء هذا المنزل منذ سنوات للاستجمام فيه، ولم تأتِ إلى هنا نظرًا لضيق وقتك، فكيف كان المنزل موجودًا وقت دراستك؟!

صحت فيهم جميعًا بغضب:

- ماذا دهاكم؟! أتشككون في صحة حديثي.. أولا يا أستاذ مروان بقية زملائي كانوا من تخصصات مختلفة وأنا كنت أساعدهم.. ثانيًا يا مدام سهير لقد قمت بشراء هذا المنزل بالفعل وأنا أدرس في الجامعة وكنا وقتها ميسورين الحال، فلقد ترك لنا أبي الكثير من المال قبل وفاته، أقصد قبل هروبه.

وقف مجاهد وهو يدقق النظر في ياسمين بعينين زائغتين ثم وجه نظراته إلينا قائلًا:

- هناك شيء يثير القلق هنا، لا أشعر بالراحة ولا أصدق ما يقوله دكتور يونس.

- أرأيتم، كان معي حق حينما لم أثق به وحينما أردت الرحيل.

قالتها ياسمين فنظر إليها مجاهد مبتسمًا بخبث وأومأ برأسه لتأكيد صحة ما تقوله.

ضاق بي ذرعا مما يفعلون وخاب ظني بهم جميعًا، فنظرت إليهم قائلًا بإحباط:

- ليس لدي ما أقوله، وأشعر بالخيبة تجاهكم، فلتفعلوا ما شئتم وجميعنا على موعدٍ مع الله.

جلس الجميع بعدها في حالة من الحيرة والذعر، محدثين بعضهم البعض:

- ماذا لو كان صادقًا ونحن نتهمه ظلمًا بسبب أزمة الثقة بداخلنا، لمَ سيتكبد عناء وجودنا معه وإطعامنا والاعتناء بنا طوال الوقت! لمَ لا نمنحه ولو فرصة صغيرة؟!

وقفت ياسمين معترضة: صدقوه، وامنحوه فرصة، ولكن من دوني، سأرحل صباحًا كما قررت من قبل ولن يمنعني أحد.

صعد الجميع إلى الأعلى في حالةٍ من الحيرة، حتى باغتهم النوم.

في الصباح وقفتُ في حجرة الطعام أحضر فنجانًا من القهوة وكنت في مزاجٍ سيئ للغاية ورأيتهم يهبطون من على الدرج الواحد تلو الآخر.

خرجت ممسكًا فنجاني وارتشفت بعضًا من القهوة وأنا أنظر إليهم بضيق، كان الجميع مجتمعًا عدا ياسمين، سألتهم بهدوء:

- هل رحلت؟!

قال الشيخ حامد: تقريبًا.. فلم نلمحها منذ أن استيقظنا.

نظرت إلى مجاهد بدهشةٍ قائلًا: لماذا لم ترحل معها يا مجاهد؟!

تلعثم قليلًا ثم قال: شعرت بثقلي عليها، وإنها لا تتقبلني ولا تتقبل أحدًا على وجه الأرض، فانتظرت حتى أرى ما ينوي الجميع فعله.

- الجو سيئ للغاية بالخارج، إنها نوةٌ شديدةٌ يصاحبها عواصفُ ورياحٌ قوية، والمكان مهجورٌ تمامًا، كيف رحلت وحدها؟!.. لن تجد

حتى من يقلها إلى أي مكان، حتى لو كنت أشعر برغبةٍ في الرحيل، لن أفعل ذلك حتى يتحسن الجو.

قالتها سهير وهي منكمشة في نفسها على الأريكة من شدة البرد.

- حسنا الأمر يعود لكم كما ذكرت من قبل، والمنزل بمثابة منزلكم، نحتاج إلى التدفئة هنا، لم أجرب تلك المدفئة من قبل، ولكن أعتقد أنها تعمل بإشعال بعض الحطب بها، سأخرج لجلب قطع من الحطب وكيروسين من المرآب ولتقوموا أنتم بتحضير الفطور الساخن حتى أنتهي.

صاح مروان: سوف أساعدك في حمل الحطب يا دكتور يونس.

ابتسمت له، وأشرت إليه بالخروج معي.

في أثناء سيرنا في اتجاه المرآب كنت أتحدث معه:

- مروان.. أنتم لا تعلمون كم أحبكم، وكم أشعر بالغصة برحيل ياسمين، أشعر أنك مختلفٌ عنهم وتتفهم الأمور أكثر منهم، حاول أن تناقشهم وتقنعهم بالعزوف عن قرارهم بالرحيل.

الشك

ابتسم مروان ووعدني بمحاولة إقناعهم، فتحت المرآب لأبحث عن الكيروسين وكان مروان يبحث معي هنا وهناك ويجمع بعض الحطب، كنت أجثو على الأرض محاولًا تجميع أكبر عدد من الأشياء التي يمكن حرقها في المدفئة، حتى سمعت صرخةً عاليةً من مروان فجأة، وقفت بذعرٍ أنظر إليه ووجدته تسمر في مكانه مشيرًا إلى سيارتي.

أسرعت لأنظر إلى ما يشير إليه، فصعقت مما رأيت، كانت ياسمين، ممزقة الثياب ويلتف حول رقبتها قطعة من القماش تبدو وكأنها حجابها.

قام أحدهم بالتعدي عليها، ثم قتلها خوفًا من الفضيحة، نظرت أنا ومروان لبعضنا البعض وتفوهنا في نفسٍ واحدٍ قائلين: مجاهد!

أسرعنا إلى الداخل في حالة من الهلع وأمسكنا بمجاهدٍ معًا فقام مروان بتسديد لكماتٍ متتاليةٍ في وجهه وهو يصرخ بشكلٍ هستيريٍّ قائلًا:

- لماذا فعلت ذلك؟ لماذا قتلتها وقمت قبل أن تقتلها بفعلتك الدنيئة معها؟!

صرخ الجميع وهم يتساءلون عما يحدث، واكتسى وجه مجاهد بالدماء وكان ينظر إلينا بذعرٍ ولم يتفوه بكلمة.

أمسكنا جميعًا بمروان ليبتعد عنه، ونظرت إلى البقية في حزن قائلًا:

- لقد قتل ياسمين بعد أن قام بالاعتداء عليها، وجدناها في سيارتي، ولا أعلم كيف وصلت إلى هناك!

صرخ مجاهد في ذهول:

- لا... لم أفعل شيئًا.. لم أرَها منذ الليلة الماضية حين صعدت لحجرتها.. صدقني يا دكتور لم أفعل شيئًا.

انهارت ماريان وسهير والشيخ حامد أخذ يردد:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، لماذا يا مجاهد فعلت تلك الفعلة بفتاةٍ بريئة، لأنها لم تلتفت إليك، لقد سيطر عليك شيطانك أيها الخسيس.

ظل مجاهد يصرخ وينفي التهمة عنه.

طلب مروان السرعة في إبلاغ الشرطة للتحقيق معه ومعاينة الجثة والمكان.

- للأسف يا مروان لا يوجد هنا هاتف ولا يوجد معنا أي هواتف محمولة وكانت تلك رغبتي في البداية للابتعاد عن أي وسيلة للتواصل مع الآخرين.

- حسنا لنذهب لأقرب نقطة شرطة أو مرور ولنطلب مساعدتهم.

- لن يمكننا فعل ذلك أيضًا، لا يوجد وقود بالسيارة، حينما كنت أتسوق لم أعثر على محطة وقودٍ قريبة ولم أهتم حتى فوجئت بنفاد الوقود عند وصولي.

- ماذا تقول؟ أعلقنا هنا مع جثثٍ وقتلى؟!

- لقد اتفقنا أن يكون هذا عالمنا الخاص، واتفقنا أن كل من يرتكب أي خطيئة هنا نعاقبه نحن.

- ماذا؟!... نعم اتفقنا ولكن لم نكن ندري أن الخطايا قد تصل للقتل والاغتصاب.

- ولكن وقعنا بهذا الأمر، وعلينا التكفل بجميع أمورنا.

صاح مجاهد: أنت شخص مجنون وغير طبيعي، لم أعد أفهمك ولا أدري ما طبيعة نواياك معنا، لماذا تفعل بنا كل هذا؟ صدقوني لم أقتل ياسمين.

أمرتُ مروان بتفتيشه والبحث في حجرته عن أي دليل، فقام بفعل ذلك ووجد ما أكد شكوكنا تجاهه، خصلة شقراء من شعر ياسمين، فواجهناه بها، وصرخت بوجهه:

- حسنا أيها البريء، كيف وصلت تلك الخصلة في ملابسك؟!

ارتبك مجاهد، وبكى بشدةٍ قائلًا:

- لم أفعل أي شيء أقسم بذلك، نعم أحتفظ بالخصلة ولكن من شدة إعجابي بها وهي من كانت تقوم بتقطيع خصال شعرها بنفسها والجميع يعلم ذلك.

- لن يخيل علينا ما تقوله يا مجاهد، لقد ثبتت التهمة عليك، ولكن كيف فعلت فعلتك في سيارتي وكيف عثرت على المفتاح الخاص بي؟!

- لا لم أفعل ولا أدري أين تخفي المفتاح.

ابتسم مروان بسخريةٍ وأشار إليه بالمفتاح وهو يمسكه بيده قائلًا:

- وجدته في حجرتك أيها القاتل.

صرخ مجاهد فداهمته بضربةٍ على رأسه أفقدَتْه الوعي.

سألني الشيخ حامد عما أنوي فعله.

- سنقوم بحبسه في غرفته حتى نرى ماذا سنفعل.

- إن كنت قد تنوي عقاب من يخطئ هنا، فعليك بالقصاص.

- ماذا؟!

- نعم يا دكتور يونس، من قتل يُقتل.

- لا..... لا أستطيع فعل ذلك، سنكتفي بحبسه ولنفكر بهدوءٍ معًا.

- وماذا عن جثة ياسمين؟! إكرام الميت دفنه.

- نحن... نفعل ذلك؟!

- نعم يا دكتور يونس، كما فعلت من قبل في الجثة أسفل الشجرة أم نسيت؟!

- نعم... فهمت.. ولم أنسَ.. سيساعدني الجميع ولكن علينا دفنها بشكلٍ يليق بها، يا شيخ حامد، أخبر الفتاتين بطريقة الغسل ليقوموا بتغسيلها ولنصلِّ عليها صلاة الجنازة بعدها.

صرخت كل من ماريان وسهير، وقالت ماريان بصوت يرتجف بسبب بكائها الشديد:

- لا أستطيع، أشعر بخوف يكاد يقتلني، وأيضًا أنا ضريرة فكيف سأقوم بمساعدتها وأعتقد أن دينكم لا يجيز لمسيحية فعل ذلك.

نظر إليها مروان بحزنٍ وقال:

- لن تستطيع ماريان فعل ذلك، كفى ما مرت به من رعب سابقًا، ليس من الضروري أمر الغسل، لنقُم بدفنها وليسامحنا الله، هدئي من روعك ماريان ولن أسمح بإيذائك أبدًا.

قمنا أنا ومروان والشيخ حامد بحملها ودفنها بحفرةٍ عميقةٍ حفرناها معًا، ما زال الطقس سيئًا وشديد البرودة، وكانت الأمطار تسقط بغزارة، قبل أن يغطي التراب وجه ياسمين، شعرنا بالحزن والوجع الشديد لما أصابها وبكينا جميعًا بشدة، لعلها وجدت الراحة أخيرًا.

جلسنا جميعًا في نهاية اليوم صامتين، تسود حالة من الحزن والظلام حولنا، لم يستطع أحدنا تناول طعامه، فقط جلسنا في صمت، حتى قطع صمتنا الشيخ حامد عندما سمعنا صوت مجاهد يصيح بالأعلى:

- علينا التخلص منه.

- لقد ذكرت من قبل.. لن نفعل ذلك يا حامد.

- وماذا سنفعل به؟

- نقوم بحبسه ومعاقبته كما كان سيحدث في قسم الشرطة، لعلنا نفكر في شيءٍ آخر بعدها.

كانت سهير وماريان في حالةٍ مزرية، انكمشتا ببعضهما البعض تبكيان بشدة، وكان جرح سهير في يدها ينزف من تلقاء نفسه، نظرًا لتوترها الشديد وضغطها عليه دون أن تدري.

لم يستطع أحدٌ منا النوم في تلك الليلة، وحاول مروان التحدث مع سهير وماريان ليهون عليهما ولكن دون فائدة.. أما مجاهد ظل يصيح طوال الليل ليخرجه أحدنا من الحجرة وعندما يئس من ذلك التزم الصمت، وخيم الهدوء على المكان.

صعدت إلى حجرتي لأرتاح قليلًا في حين جلس البقية بالأسفل.

صوت الرياح والرعد بالخارج زاد من ذعر سهير وماريان، حملقت سهير بأركان المنزل ثم قالت وهي ترتجف:

- يجب أن نرحل من هنا، ونبلغ الشرطة بكل ما حدث، لا يمكننا المكوث في هذا المنزل المرعب ومع هذا الطبيب المختل، هناك أمر ما يحدث.. أمر مريب.

أمسكت ماريان بيدها لتطمئن قليلًا، ثم قالت:

- معكِ حق سهير، المكان أصبح مريبًا ومرعبًا وبالأخص بعد مقتل ياسمين ودفنها بالخارج مع وجود جثة أخرى، ومجاهد كيف نحكم عليه بالسجن هنا، قد يصبح الأمر شديد الخطورة علينا، قد يحاول الهروب وقتلنا جميعًا...

قاطعها الشيخ حامد: نعم من الممكن أن يفعل ذلك، وكان يجب علينا التخلص منه كما أخبرت دكتور يونس لكنه رفض، وكان هذا الحل الأمثل حتى نشعر بالاطمئنان وحتى نقتص لحق ياسمين.

صاح مروان: قتل مرة أخرى، لا يمكن أن أشارك في مثل تلك الأفعال.

- حسنا.. دعنا نرحل الآن.

قالتها سهير وهي ترتجف بين ذراعي ماريان.

- نحن جميعا نرغب في ذلك ولكن استمرار النوة بالخارج يجعل الأمر صعبًا والظلام دامسٌ بالخارج ولن نجد وسيلةً لنقلنا أو حتى مكانًا يحمينا من برودة الجو وهطول الأمطار، سنتجمد حتى الموت بالخارج.

- نحن في كلا الحالات في عداد الموتى يا مروان، الموت بالخارج أفضل من الموت من الرعب هنا داخل هذا المنزل الكئيب.

ابتسمت ماريان بسخرية: جئنا هنا لنتعالج، وأظننا سننتكس أكثر بين تلك الجدران.. مروان.. أين روميو؟ لا أسمع صوتًا له منذ ساعات.. ولم يجلس بجواري.. وليست تلك طبيعته!

نظر مروان هنا وهناك باحثًا عن روميو ولكن دون جدوى، ووقفت ماريان تصيح وتصفر ليأتي إليها ولكنه اختفى تمامًا.. بكت ماريان بشدة فكان هو صديقها الوحيد واندهشت لكونه اختفى فجأة هكذا.

شعر الشيخ حامد بالملل بسبب حديثهم وقلة حيلتهم، بينما خرج مروان للبحث عن روميو لعله تسلل دون أن يراه أحد.

أما أنا على فراشي أتوسل إلى النوم ليداهمني فجأة وأنعم ببعض الراحة، ولكن كثرة التفكير جعلته ينفر مني، تقلبت يمينًا ويسارًا وأغمضت عيني بشدةٍ، ثم سمعت فجأة صوت رعد هز أركان الحجرة ففتحت عيني مفزوعًا.. لأرى وجهًا بعينين مخيفتين يحملقان بي عن قرب، كان شبحًا مخيفًا شعره أصفر متقطع ويغطي وجهه الطين والدم، التصق فمي وشعرت بشلل يسري في جسدي، وفجأةً صرخ الشبح في وجهي قائلًا: لماااااذا؟!

أغمضت عيني من الخوف لعلني أحلم بكابوس وسوف ينتهي حين أستيقظ منه، وبالفعل فتحت عيني ببطءٍ بعدها فعاد كل شيء

إلى طبيعته، وحدثت نفسي: "بالتأكيد كل ذلك من وحي خيالي"، ساد الصمت مرة أخرى حتى سمعت صوتًا كاد يوقف قلبي من شدته، صرخة لإحدى الفتيات تأتي من الأسفل..

هرولت إلى الأسفل لأرى ماذا يحدث، فوجدت ماريان تجثو على الأرض ممسكةً بكلبها وهي تصرخ وتبكي بشدة.

نظرت إلى مروان متسائلًا عما حدث.

- لقد اختفى كلب ماريان وكنت أبحث عنه بالخارج، فوجدته بالجوار بين الأشجار ولكنه فارق الحياة.

- كيف حدث ذلك؟! هل مات من شدة البرد؟!

صاحت ماريان: لا... قتل أحدهم روميو.. لم يمت وحده من البرد.

- وكيف استنتجتِ ذلك؟!

قالت سهير: واضح أنه قُتل، هناك سائلٌ أبيض يخرج من فمه وذلك دليل على تسممه، ولم يختفِ روميو ساعاتٍ طويلات حتى يموت من البرد وإن كان صحيحًا لنبح قبلها أو حاول الدخول إلى هنا ولفت الأنظار إليه.

- ولكن، من سيفعل ذلك؟ ولماذا؟!

حالة من الصمت مع صوت أنين ماريان من شدة حزنها على كلبها الصغير. صرختْ بعدها بشدة: أخرجوني من هنا، لا أريد البقاء هنا ولو قليلًا، أرجوكم أخرجوني.

- ماريان.. لن يخرج أحدكم من هنا، لقد أصبح مصيرنا واحدًا، وإن خرج أحدكم سيكون مصدر تهديد للبقية، إذا جاءت الشرطة إلى هنا للتحقق من أمر ما ستلقي القبض علينا جميعًا بتهمة قتل ياسمين والجثة الأخرى غير المعلومة.

- ولكننا لم نقتل أحدًا يا حضرة الطبيب، وإذا كان مجاهد هو الفاعل سينال عقابه وسيعترف بالتأكيد وجميعًا نشهد بذلك.

- نعم يا مروان.. جميعنا نشهد.. ولكن لماذا قمنا بإخفاء الجثة وحبس مجاهد دون تسليمه والمكوث هنا من دون أي وسيلة للاتصال، ووجودكم معي دون مبرر والجميع يعلم أنني قدمت استقالتي، وتركت جميع الحالات لبقية الأطباء.. كل ذلك سيعرضنا للشك والتساؤلات التي نحن في غنى عنها. ولذلك أمنع الجميع من الرحيل.

- هل سترغمنا على البقاء؟!

- نعم يا سهير.. أرغمكم لسلامتكم جميعًا.

- وإذا لم نقم بذلك وأردنا الرحيل، ستقوم بتقييدنا هنا مدى الحياة؟!

- إذا لزم الأمر سأفعل ذلك يا ماريان.. والآن ليذهب الجميع إلى غرفته، وحاولوا التعايش مع وضعكم الجديد، وسأتولى أمر احتياجاتكم الضرورية عندما يتحسن الطقس، أما بالنسبة للخروج من باب المنزل، أنا من سيتحكم به، وسأقوم بقفله بالمفتاح الآن، وسيظل

المفتاح في جيبي طوال الوقت وليس أمامكم منفذ للهروب، جميع النوافذ والأبواب محاطة بالسياج التي لا يمكن تجاوزها، لذلك أطلب منكم الهدوء والتعايش دون افتعال المشاكل، هيا اذهبوا إلى النوم، وكفانا حديث وصياح وبكاء، لقد فاض بي، مروان اذهب إلى الخارج وادفن هذا الكلب في أي مكان قبل أن تنام، هيا.

نظر مروان إلى ماريان بحزن، وأمسك بيدها بحنان، ثم التقط منها جثة روميو ليقوم بدفنها... شعرت ماريان بالحسرة وبكت في صدر سهير بشدة من حسرتها على صديقها الوفي.

أجبرتهم على النوم ولكن أعلم أن الجميع لم ينعم به مثلي، لقد انقلب الحال وفشلت تجربتي وكنت مضطرًا لفعل ذلك، فأول من سيُزج في السجن هو أنا، ووقتها سأخسر سمعتي وكل شيء، كما حدث مع أبي من قبل، ولن أكون مثله أبدًا، ضعيفًا، جبانًا، وفاشلًا.

في الصباح وقف الشيخ حامد يهلل باستنكار وغضب: كيف يفعل هذا؟ سيقوم بسجننا جميعًا هنا، لست مضطرًا لفعل ذلك، ولا أنتم، هيا لنجلب المفتاح منه ولنخرج جميعًا.

وقفت أمامه، ونظرت إليه بحدةٍ وغضبٍ مقتربًا من وجهه، فتراجع إلى الوراء في صمت..

- هيا.. تعالَ معي، لنرَ مجاهد، ولنقدم إليه الطعام والشراب حتى لا يموت من الجوع في الأعلى.. هيا يا حامد وتوقف عن الثرثرة الواهية.

صعد حامد معي للحجرة المقيد بها مجاهد.. أمرت حامد بفتح الباب ودلفنا إلى الداخل لنصعق بمشهدٍ آخر مريب.

لقد كان مجاهد مقيدًا بفراشه، حتى نضمن عدم هروبه، وجدناه مذبوحًا، تم نحره بلا رحمة... صرخ حامد وهرول إلى الأسفل وهو يردد:

- قُتل مجاهد... ذبحوه...

أسرعت إليه وأمسكته من ياقته بعنف قائلًا:

- أنت من قتله يا حامد.

- ماذا؟! لست الفاعل.. لا أستطيع أبدًا فعل ذلك.

- بل أنت.. تم ذبحه بسكين من حجرة الطعام، وهو ضعيف ويده مصابة فلم يستطع المقاومة، وهناك شيء آخر وجدته في غرفته يثبت أنك الفاعل الرئيسي وليس غيرك، المسبحة الخاصة بك أين هي؟!

ارتبك حامد وبحث في جيبه عنها ثم قال:

- كانت هنا في جيبي، أو إنها في غرفتي، نسيتها هناك بعد تسبيحي بها عندما أنهيت صلاة الفجر... نعم.. بالتأكيد هناك.

- ولكن ما علاقة مقتل مجاهد يا دكتور يونس بالشيخ حامد، وما هذا الإثبات الذي تتحدث عنه؟!

- انظر يا مروان ماذا وجدت بجوار جثة مجاهد، إنها مسبحة الشيخ حامد ملطخة بالدماء فما قولك في ذلك وكيف وصلت إلى هناك؟!

- أصبت، ولكن وارد أن يكون مجاهد استعارها منه أو أن "حامد" كان يجلس معه وتركها هناك دون أن يلاحظ.. ولكن كيف كانت معه عند صلاة الفجر كما يزعم.

- أرأيت، من الواضح أنه يكذب لينفي عنه جريمة القتل، وإن لم يكن هو الفاعل فمن منا فعلها، الفتاتان ضعيفتان لفعل ذلك، أم أنت.

- ولِمَ لا تكون أنت؟!

- كيف سأفعل ذلك وأنا من اعترض عندما طلب مني حامد قتله، وأيضًا تلك الليلة أمس عندما صرخت ماريان، كنا جميعًا هنا في أثناء ذلك عدا حامد، لم يخرج من غرفته ولم نسمع له صوت، أيعقل أنه لم يسمع صرخات ماريان؟! ولم يسمع صياحنا معًا؟! هو الفاعل.

ضحك حامد بشدةٍ ضحكاتٍ هستيرية متتالية.. نظرت إليه بدهشةٍ متسائلًا عن سر ضحكاته تلك، فنظر إلي بغيظٍ قائلًا:

- باتت الأمور تتضح.. أنت تقوم بنصب شباكٍ لنا، والتخلص منا جميعًا هنا.. في تلك المقبرة اللعينة.

- ولِمَ قد أفعل ذلك؟! لم يكن بيني وبينكم أي نوع من العداوة، بل بالعكس لقد أحببتكم وتعاطفت معكم وكأنكم عائلتي الصغيرة، وتركت عملي الذي تفانيت فيه لأجلكم.

أمعنت النظر إلى ملابس مروان ثم أمسكت بجزءٍ من قميصه قائلًا بدهشة:

- ما هذا؟ من أين أتتك بقعة الدماء تلك؟!

ارتبك مروان ونظر إلى قميصه، ثم نظر إلينا جميعًا وتوقف بعينه عند سهير مشيرًا إليها:

- إنه منها... عندما دخلت بكلب ماريان أسرعت إليّ ولقفته من يدي، ويدها تنزف طوال الوقت، فبالتأكيد لامست قميصي وتلطخ بدمائها.

- ولكن يا مروان لم أرَ تلك البقعة أمس!

- لأنك لم تمعن النظر إليّ، وكنت ثائرًا علينا، أم ماذا يا دكتور يونس؟! تريد أن تلقي بالاتهام عليّ؟!

بكت ماريان متوسلة إليّ بإخراجهم وأقسمت أنها لن تذكر أيًّا مما حدث هنا، وأكدت أنها لن تفعل ذلك لأنها لم ترَ حتى وجوهنا وتسمع فقط أصواتنا... وبالطبع رفضتُ ذلك.

جلس الشيخ حامد على الأريكة أمامنا بهدوءٍ قائلًا: حسنا، ما التالي؟ ستلقي وابلًا من الاتهامات على من! كيف ستعاقبني؟ هيا أنتظر الأوامر من الجلاد.

نظرت إليه بغضب، وتقدمت تجاهه ببعض الخطوات وفي أثناء ذلك انقطع التيار الكهربائي وسادت العتمة بالمنزل.

صرخ الجميع وصاحت ماريان: ماذا حدث؟! فليجب أحدكم.. لماذا تصرخون، مروان، سهير، أين أنتم؟!

قالت سهير بذعر: لقد انقطع التيار ولا نرى أي شيء.. مثلك تمامًا، فليشعل أحدكم أي شيء، يا دكتور يونس أين تضع الشموع؟

لم يجب أحد وساد الصمت القاتل.

ضحك حامد بصوتٍ عالٍ مؤكدًا على أن ما يحدث ما هو إلا ملعوبٌ جديد افتعله لإثارة الرعب في نفوسهم... لا أسمع شيئًا سوى صوت حامد وهو يصيح باسمي، ولم يتفوه مروان بكلمة واحدة ولا الفتاتان، حتى إنني بت لا أسمع أنفاسهم.

أصابتني القشعريرة، وحدثت نفسي: أهذا هو الهدوء الذي يسبق العاصفة؟!

تحسست الحوائط والأثاث بيدي حتى أستطيع الوصول لحجرة الطعام والبحث عن أي شموع والقداحة الخاصة بي، وقد كنت تركتها

منذ قليل بجوار الموقد، تحسست بيدي سطح الموقد ولكن لا وجود للقداحة، اندهشت وزاد قلقي، فأين ذهبت؟!

بحثت بيدي في أرفف الأواني والأدراج حتى أجد الشموع، وبعد لحظات وجدتها أخيرًا في درجٍ خاصٍّ بالسكاكين والملاعق.. ولكن كيف سأشعلها دون وجود القداحة؟!

يخيم الصمت على المكان تمامًا، ولم أعد أسمع سوى صوت الرياح والأمطار بالخارج، فأين ذهب الجميع؟!

حتى حامد لم أعد أسمع صياحه وثرثرته المستمرة، وضعت يدي داخل جيب بنطالي لأتأكد من وجود المفتاح الخاص بباب المنزل، ووجدته بمكانه، فخشيت أن يكونوا قد استطاعوا الهرب وتركي وحيدا مع جثة مجاهد في الأعلى.

وقفت في منتصف البهو للحظات لأفكر بشيءٍ ما، ممسكًا بيدي الشموع لعلني أعثر على قداحتي، ثم تذكرت وجود أعواد من الثقاب بجوار المدفأة، فخطوت إلى مكانها ببطء، وما زال الصمت يخيّم على المكان، وصلت إلى المدفأة وتحسست أعلاها وأخيرًا أمسكت بيدي علبة أعواد الثقاب، أمسكت عود ثقاب لأقوم بإشعاله وفجأة سمعت أنفاسًا قريبةً من وجهي، ارتجفت بشدةٍ وبكلماتٍ متقطعةٍ هادئة تحدثت: من... من.. هناك؟!

ولكن لم يجبني أحد، أنفاسٌ حارةٌ وغاضبة، لا يتحرك جسد صاحبها تجاهي ولكنه بدا وكأنه ينظر مباشرةً إلى عيني في هذا الظلام

الدامس، وبيدٍ مرتجفة أشعلت عود الثقاب ورفعته أمام وجهي لأتحقق من صاحب تلك الأنفاس وعندما رفعته رأيت وجهًا... لا لم يكن وجهًا ولكنها رأس مجاهد أمامي والدماء تتساقط منها، وكان ينظر إلي بعيونٍ غاضبةٍ يكسوها الشر والانتقام... صرخت بشدةٍ وشعرت بأصابعي تحترق من عود الثقاب فأطفأته سريعًا وحاولت إخراج عودٍ آخر، ولكن بسبب الخوف الشديد الذي سيطر على جسدي، جعل يدي ترتجف بشكلٍ جعل من إمساك عود الثقاب أمرًا صعبًا، حبست أنفاسي وأمسكت عودًا بقوةٍ وأشعلته لأضيء إحدى الشموع قبل أن يحترق، ثم رفعت الشمعة ببطءٍ ورعبٍ أمام وجهي مرةً أخرى لأجد مروان يمعن النظر في عيني بشكلٍ مخيف، صرخت بشدةٍ في وجهه فقال: دكتور يونس.. اهدأ.. إنه أنا مروان!

التقطت أنفاسي مرةً أخرى وسألته بهدوءٍ وحذر: أين البقية؟!

- لا أدري.. ساد الصمت فجأة في المكان وكنت أبحث بهدوءٍ عن أي منهم حتى نستأنس ببعضنا البعض، حتى شعرت بحركةٍ تجاه المدفأة فوجدتك أنتَ، هيا أشعل باقي الشموع لنستطيع الرؤية ولنبحث عنهم.

أشعلت باقي الشموع وبدأت بتوزيعها في البهو ولكن لا يوجد أثر للفتاتين وحامد، صاح مروان ليجيب أحد منهم، ولكن دون جدوى.

زاد قلقي ثم سألت مروان: هل قام حامد بالإمساك بهما وهما بجواره؟

- لا أدري.. ولماذا سيفعل ذلك؟!

- سيفعل ذلك حتمًا.. ليحتمي بهما حتى لا أقوم بإيذائه، بالتأكيد صعد لأعلى بهما في إحدى الغرف، لنصعد معًا ونتحقق من الأمر، أمسك بإحدى الشموع في يدك، وفي اليد الأخرى أمسك هذا السيخ الخاص بالمدفأة ليكون سلاحًا معنا تحسبًا لأي حركة مفاجئة منه.

صعدت أولًا على بعض الدرجات ولكن لم أشعر بخطوات مروان خلفي، فاستدرت باحثًا عنه وصحت: مروان أين أنت؟!

أسرعت باتجاه البهو مرةً أخرى ونظرت هنا وهناك، فوجدت مروان يقف خلف الأريكة وهو ينظر إلى الأسفل في حالة من الصدمة، أسرعت إليه واقتربت بضوء الشمعة لأسفل حتى أرى ما يحدث.

وجدت "حامد" جثةً هامدةً غارقةً في دمائها خلف الأريكة، صرخت قائلًا:

- من فعل ذلك؟!

- لا أدري.. كنت أتبع خطاك لأعلى وفجأة لمحت شيئًا ما خلف الأريكة على ضوء الشمعة، وعندما اقتربت وجدت "حامد" هكذا.

- كيف لا تدري؟! لقد تم قتله بإحدى سياخ المدفأة، تم طعنه بقوة في صدره، الغريب أنه لم يصدر أي صوت أو أنين، أين السيخ الذي كان بيدك؟!

- لقد ألقيته للتو هنا عندما صعقت برؤية حامد.

- أنت تكذب يا مروان.. لقد قتلته به، وها هو بجواره ملطخٌ بدمائه، كيف فعلت ذلك في لمح البصر؟!

- أقسم بأنني لم أفعل.

- إذا لم تكن أنت، ولا أنا، فمن الفاعل؟! والفتاتان مختفيتان منذ انقطاع التيار الكهربائي.

- صدقني لا أعلم شيئًا.. صدقني أنا لم.............

- صه... لا داعي للقسم والتبرير، أصبح لدينا ثلاث جثث في المنزل، لا أعلم كيف أتصرف في تلك الورطة، وما ذنبي في كل ما يحدث.

- دكتور.. أتظن أن هناك أحدًا غيرنا هنا وراء كل ما يحدث في هذا المنزل؟!

- أنت تهذي الآن، لا يوجد سوانا، والقاتل بيننا... أو ربما........

- ماذا يا دكتور؟ أفصح!

- ربما شبح أحدهم..

- ماذا.........!

- أرى أشياءً غريبةً في أثناء نومي ومنذ قليل، أكذّب عقلي ولكنّ عينيّ لا تكذبان.

- هيا يا دكتور، أعطني مفتاح المنزل لنرحل حالًا، قبل أن نُقتل نحن أيضًا، سواء على يد إنسان أو شبح إنسان، هيااا.

- لا يمكن، دعنا نبحث عن الفتاتين أولًا، ثم نقرر بعدها، والظلام دامسٌ بالخارج والطقس سيئ للغاية، لقد حوصرنا.

- حسنا.. دعني أرحل وحدي، دعني أتجمد بالخارج وأموت وحدي.

- لن أفعل.

تغيرت نبرة مروان وقام بتهديدي وأصبح صوته حادًّا وغاضبًا:

أعطني المفتاح وإلا أذيتك وأحصل عليه بالقوة.

- ستقتلني أنا أيضًا!

- أخبرتك أنني لم أقتل أحدًا، أين المفتاح وأحذرك لآخر مرة.

دفعني مروان بقوة بكلتا يديه، فارتطمتُ بالأرض وانطفأت الشمعة التي كنت أحملها، ثم فتش قميصي، حاولت مقاومته فلكمته في وجهه بقوة، سقط على ظهره، وسالت الدماء من فمه.

- مروان، لا تجبرني على فعل شيء لا أريده.

وقاطع حديثي بلكماتٍ متتالية على وجهي وأمسك بجيب بنطالي فوجد بداخله المفتاح، جذب المفتاح بشدة ثم ركلني في صدري بقدمه وأسرع إلى الباب...

كانت رؤيتي مشوشة من شدة اللكمات ورأيته وهو يتجه إلى الباب بصعوبة، حاولت الوقوف ولكن لم أقوَ على ذلك، شُلّت حركة جسدي بالكامل وشعرت بدوار في رأسي وأغمضت عيني.

لم أعرف كم مر من الوقت وأنا فاقد الوعي، فجأة بدأت أفتح عينيّ ببطء، أشعر بثقلٍ في جفني وكأن شيئًا ما يجذبهم إلى الأسفل، ولكن قاومت شعوري وفتحت عيني، فوجدتني أجلس على أحد المقاعد بالبهو، وما زالت الكهرباء منقطعة، ولم يكن هناك أحد بجواري.

كانت يدي ملطخة بالدماء بالكامل، ولكن أظن أن من جذبني إلى المقعد هو من كانت يده ملطخة بالدماء، ولكن من هو؟!

نظرت إلى باب المنزل، ما زال موصدًا، ولكن أين المفتاح؟ وأين مروان؟!

شعرت أن فمي التصق ببعضه من شدة الظمأ، فحاولت الوقوف على قدمي حتى أذهب إلى حجرة الطعام، كل جزءٍ بجسدي يؤلمني، والدماء تتساقط من وجهي كقطرات العرق، كنت أخطو بثقلٍ فكانت إحدى قدميّ تؤلمني بشدةٍ وأصبحت أعرج بها...

خطواتٌ بطيئةٌ واحدة تلو الأخرى حتى وصلت إلى حجرة الطعام، فتحت صنبور الماء لأرتشف القليل بين يدي ثم سكبت القليل على وجهي لأنظف بعض الدماء على ضوء شمعة وضعتها بجوار الصنبور.

رفعت وجهي لأرى حجم الجروح في مرآة مكسورة ومطموسة إلى حد ما، وجدت عدة خدوش أسفل عيني وجرحًا عميقًا بفمي بسبب لكمة مروان القوية، تمتمت بيني وبين نفسي قائلًا:

- تبًّا لك يا مروان، انظر كيف شوهت وجهي، يا ألله ما الذي أقحمت نفسي فيه، كنت أعيش حياةً روتينيةً هادئة، لماذا يحدث كل هذا وتنقلب حياتي فجأة، عقلي مشوش ولا أدري ماذا سيحدث بعد ذلك، تُرى.. هل خرج مروان وأخبر أحدهم؟! أم اختبأ في المرآب من الطقس حتى الصباح؟ أم ماذا؟! كيف جلست يا يونس على المقعد ومن ساعدك؟ آه يا رأسي تكاد تنفجر من الألم والتفكير.

قطع حديثي مع نفسي شيءٌ ما لمحته على الأرض، ضوء الشمعة خافتٌ لا يوضح ماذا هناك، فاقتربت منه بحذر، كان يبدو ضخمًا وقاتم اللون، خطواتٌ أخرى بطيئةً تجاهه، اتضح شيئًا فشيئًا فوجدته صدمةً أخرى جعلتني أتسمر في مكاني للحظات.

جسدٌ ممزقٌ إربًا، كل جزءٍ منفصل عن الآخر وبجواره جثة حامد.

- ماذا يحدث؟ لمن تلك الجثة الممزقة؟!

من الذي فعل ذلك؟!

كيف جاءت جثة حامد إلى هنا؟!

أيعقل أن يكون ما قاله مروان من قبل صحيحًا!

أحدهم يتلاعب بي، ويفعل كل تلك الجرائم!

من الذي يتجرأ على فعل ذلك!

لماذا لم يقتلني إلى الآن!

أم إنه يريد بث الرعب في قلبي أولًا قبل التخلص مني!

ولكن ما ذنب هؤلاء الأبرياء!

لتكن لديك الشجاعة وتفصح عن نفسك الآن أيها الشيطان القاتل...

لا يوجد أحد...

خطوتُ للخلف ببطءٍ فشعرت بشيءٍ أسفل قدمي، التقطته سريعًا لأجده مفتاح المنزل.

- ما هذا؟! المفتاح! ولكن مروان أخذه عنوةً مني وخرج.. فكيف! يا إلهي......

جثوت على ركبتي بجوار الجثة الممزقة، وأمسكت برأس الجثة ذات الشعر الكثيف لأتحقق من هويتها.

- يا ألله... لا يمكن أن يحدث هذا! مروان!

كانت جثة مروان هي الممزقة على الأرض... قُتل بوحشيةٍ وكأن من فعل ذلك ليس ببشر، إنها حتمًا أفعال شيطانية.

أمسكت بالمفتاح عازمًا الهروب من المنزل قبل أن ينقض عليّ هذا الشيطان، كانت قدمي تعرقل حركتي، الألم يشتد بها، من الواضح أنه حدث بها كسرٌ ما، ولكن كيف حدث؟! لم يقم مروان بضربي بها ولم أسقط عليها! أم حدث ذلك بفعل من وضعني على المقعد في أثناء غيابي عن الوعي! بالتأكيد هذا ما حدث.

خرجت إلى البهو مستعينًا بمقشةٍ وجدتها في حجرة الطعام، أتكئ عليها من فرط الألم، وفجأةً يضرب الرعد بقوة، فصرخت مذعورًا ونظرت حولي في أرجاء المنزل... ثم لملمت شتاتي لأواصل الحركة، اقتربت من الباب، ثم أمسكت بالمفتاح ووضعته بالقفل، ولكن توقفت قليلًا..

سمعت صوتا ما يأتي من الأعلى، صوت أقدام تخطو ببطءٍ وكأنها تخشى الاقتراب أو أنها تتلصص علي.

- سهير، ماريان، أين أنتما؟!

ولكن إن كانت إحداهما من يفعل هذا، ستقتلني في الحال، أم فعلا هذا معًا؟!

لأرحل وحسب، ولكن إن لم يكونا هما الفاعلتان، كيف سأتركهما وحدهما هنا!

يا لهذا المأزق.. ضميري لا يسمح لي بذلك، يجب أن أتحقق من الأمر.

قررت الصعود لأعلى، لأتحقق من وجود الفتيات هناك، لعلني أستطيع إنقاذهما، كلما صعدت درجةً يشتد ألم قدمي أكثر فأكثر، لقد تورمت تمامًا فأصبحت كالصخرة صعبة التنقل، ولكن تحملت على القدم الأخرى، وكان كل درج أتجاوزه بمثابة إنجاز.

أخيرًا وبعد لحظاتٍ طويلة وصلت إلى الأعلى، ولكن العتمة تحجب الرؤية، كان هناك بعض النوافذ الحديدية المكسية بالزجاج، كان ضوء البرق من الخارج يتسلل منها كل لحظة، خطوتُ كالضرير أتحسس كل جدارٍ أمر به، همست بهدوء:

- سهير، ماريان... أين أنتما؟!... ساعداني..

شعرت بخطواتٍ خلفي، فالتفتُّ مسرعًا، ولكن توقف الصوت، لا يوجد أحد، ربما خُيّل لي.

وصلت إلى الحجرة الأولى، أمسكت بالمقبض بهدوءٍ وفتحت الباب الذي أصدر صريرًا عاليًا.

إنها الغرفة الخاصة بياسمين ولكن ربما تختبئ بها إحدى الفتيات، شعرت بهواءٍ باردٍ يتسلل منها، اندهشت فلا يوجد هناك نوافذ مفتوحة، ولكن لم يعد شيئًا يدهشني، توقفت داخل الغرفة وأمعنت النظر حتى أستطيع رؤية أي شيء، لكن من الواضح أنها كانت خالية.

استدرت لأكمل البحث في الغرف الأخرى، وبينما كنت أتوجه إلى الباب سمعت صوتًا غريبًا وكأن أحدهم يزحف على أرض الغرفة بهدوء، استدرت مرةً أخرى ولكن العتمة شديدة، وشاء القدر أن يضرب البرق النافذة فجأة، فيتهشم الزجاج إثرها، انتفض جسدي وبدا الشيء الذي يصدر الصوت واضحًا، إنها هي.. شبح ياسمين، تزحف على الأرض تاركةً آثارٍ للطين الذي دُفنت فيه خلفها، كانت تنظر إلي

بعينين مخيفتين بارزتين إلى الأمام بسبب الاختناق الذي قُتلت به، ولكن لمَ أنا؟ تراجعتُ إلى الوراء وسألتها في ذعر:

- أحقا أنتِ هنا، ولكنكِ قُتلتِ.. أحقًّا أنتِ من يقوم بفعل تلك الحوادث انتقامًا لما حدث معكِ.

نظرت إليّ بغضب دون إجابة واستمرت بالزحف تجاهي، خرجت مسرعًا وأوصدت باب الغرفة خلفي حتى لا تستطيع اللحاق بي، وحدثت نفسي: "لا يوجد أحد هنا سوى الأشباح، قد تكون كل من الفتاتين لقت حتفها كالبقية وأنا الآن أبحث عن السراب، أم يخيل لي كل هذا، ولا يوجد أحد هنا ولا قتلى ولم أصطحب أحدهم هنا من قبل! ولكن تلك الجثث! الدماء! ماذا يا دكتور يونس.. هل عدت لجنونك السابق؟! ألا تستطيع التمييز بين الحقيقة والخيال؟! ولكن كل شيء وارد... لأتحقق من وجود جثة مجاهد في الغرفة، وإذا لم تكن هناك، فحتمًا كل هذا من فعل خيالي المريض.

دلفت إلى غرفة مجاهد وضيقت من نظراتي قليلًا لألمح جثته على فراشه، ولكن الرؤية ضعيفة، فاقتربت بخطواتٍ بطيئة من الفراش وتحسست مكان جثته، وبالفعل وجدته في مكانه كما هو، اطمأن قلبي قليلًا أنني لا أهلوس، وأن ما يحدث حقيقةً، ولكن شعرت بشيءٍ ما غريب، بينما كنت أتفحص جثة مجاهد، شعرت بجسده دافئًا، لم يكن باردًا كبقية الموتى، بدا وكأنه ما زال على قيد الحياة، ولكن كيف بعد ذبحه؟!

أقنعت عقلي بأنه من الجائز حدوث ذلك، أو أنني أتخيل من جديدٍ أو لشدة شعوري بالبرودة لم أتحقق من برودة جسده... كل شيء جائز في هذا المنزل الملعون.

وفجأة أمسكتْ يدٌ بقوةٍ يدي فنظرت إليها، لأجدها جثة مجاهد تنظر إلي في غضبٍ وتمسك بيدي، حاولت التخلص منها، وصرخت فيه ليتركني، وبعد عدة محاولات استطعت الإفلات منه ثم خرجت مسرعًا من الغرفة، وكادت أنفاسي تنقطع، الجثث تتحرك، وأشباحٌ بكل ركنٍ في المنزل فماذا أفعل! ولا أدري ما الخطوة التالية، ولكن قررت الهبوط والخروج من هناك بأقصى سرعة، ثم سمعت صوتًا ما أتى من غرفتي، شيء ما سقط على الأرض، وهناك أيضًا ضوءٌ خافتٌ يتسلل من أسفل الباب، أدركت أن أحدهم بالداخل، فتوجهت إلى هناك بخطواتٍ هادئة، حتى لا يقوم من بالداخل بالاختباء.

أمسكت المقبض وفتحت الباب بحركةٍ مفاجئةٍ وبالفعل كان هناك شخص ما.. قلت بهدوء:

- أنتِ هنا يا سهير؟! قداحتي معكِ! كيف عثرتِ عليها؟! ماذا تفعلين في غرفتي؟! ولماذا تحاولين الاختباء؟! من فعل كل هذا؟! أنتِ من قتل "حامد" ومروان صحيح؟!

كانت تمسك بالقداحة أمامها، ووقفت تنظر إليّ في ذعرٍ وجسدها يرتجف بشدة، كانت ملابسها غير مرتبة وشعرها مشعث، وكأنها خرجت من معركة، ثارت شكوكي حولها، وحاولت عدم الاقتراب منها،

أشرت إليها بهدوءٍ لتطمئن لي وسألتها عن ماريان لكن دون إجابة، لمحتُ زجاجةً من الماء كنت أضعها بجوار فراشي على "الكومود"، فطلبتُ منها شرب بعضٍ منه لتهدأ قليلًا، فلم تتحرك، توجهت بهدوءٍ إلى "الكومود" مشيرًا إليها بالثبات حيث هي، وعندما أمسكت بالزجاجة وجدت بجوارها كوبًا من الحليب، لا أتذكر أنني وضعته هنا من قبل، ولكن وجدته هو الأفضل لها في حالة توترها تلك.

أمسكت بكوب الحليب، واقتربت منها بهدوء، كانت تنظر إلى قدمي المصابة، كانت تبدو مرعبةً ومقززة، أشرت إليها بكوب الحليب، وطلبت منها أن تشرب القليل منه.

- أمسكي بالكوب يا سهير، لا تخافي، سوف تشعرين بتحسن، الحليب يهدئ الأعصاب، وجسدك يرتجف من الخوف، هيا لا تخشيْ أي شيء، سوف نرحل في الحال من هنا، لقد فتحت الباب بالأسفل، المفتاح هناك صدقيني، أشعر بالخوف مثلك تمامًا وأخشى على نفسي من القتل كالبقية.. هيا اشربي الآن ولنذهب بعدها مباشرة.

أمسكتْ بالكوب وكان يتساقط منه قطرات الحليب من شدة رعشة يديها، فأمسكتُ بها لأساعدها على الاتزان وعدم سكب الحليب دون أن تشربه، وبالفعل شربت الكوب دفعةً واحدةً وكانت تنظر إليّ بعيونٍ دامعةٍ متورمةٍ من كثرة البكاء..

بعد الانتهاء أمسكت بيدها وطلبت منها مساعدتي على الوصول للأسفل، فأصبحت لا أشعر بقدمي وكأنها لم تعد بمكانها.. حاولتِ الإفلات من يدي فأمسكتها بقوةٍ وصحت فيها بصوتٍ حاد لتساعدني.

صياحي بها زادها رعبًا، فأمسكت بي وكنت أتكئ على كتفها، لأستطيع الهبوط درجةً تلو الأخرى، بدأت سهير فجأة في الترنح يمينًا ويسارًا، جعلت حركة جسدي غير متزنة وفجأة تركتني وابتعدت ممسكة برأسها..

اختل توازني وحاولت الإمساك بجدار الدرج ولكن لم أستطع الوصول إليه، وفجأة انزلقت من الأعلى، كنت أشعر بعظامي تتهشم عند كل درج، صرخت وتألمت بشدة، وما زلت أنزلق حتى وصلت إلى الأسفل أمام باب المنزل...

المفتاح ما زال هناك، نظرت إلى سهير في الأعلى فوجدتها ما زالت تترنح وتحاول الهبوط إلى الأسفل، ولكن خارت قواها، فسقطت من أعلى الدرج ولكنها ارتطمت بآخر جزء حاد ومدبب فيه وأصيبت رأسها بجرحٍ عميق، كانت ملقاةً بجواري، بدت أنفاسها متقطعة، سالت الدماء حولها، وفجأة خرج سائلٌ أبيض من فمها، كانت تحتضر أمامي.

أشارت إليّ بإحدى أصابعها وكانت تنظر إليّ بغضب وكأنها تريد قول شيء تعجز عن إخراجه من فمها، وفجأةً توقفت حركة عينيها وتوقفت أنفاسها، فارقت الحياة.

أغمضت عينيّ قليلًا وتنفست بقوةٍ لأتحمل الألم، ثم نظرت إلى الباب، ليتني أستطيع الوقوف والوصول إليه، حاولت الزحف قليلًا حتى أصل إلى المقبض ورفعت جسدي لأعلى لأمسك به، ليداهمني أحدهم بضربةٍ قويةٍ على رأسي، نظرت إلى الخلف بعد أن ارتطمت مرةً أخرى بالأرض، كانت رؤية عيني مشوشة من أثر الدوار ولكن استطعت التحقق من هوية الفاعل، كان هذا الشخص (ماريان).

*****

من الجاني؟

اندهشت فكيف لفتاة ضريرة أن تفعل كل هذا وحدها دون مساعدة أحدهم، أمعنت النظر داخل عينها لأتحقق من عدم رؤيتها، وكانت نظراتها ثابتة كما هي، مدت ذراعها إلى الأمام ممسكة بتلك الخشبة الصلبة التي أصابتني بها محاولة حماية نفسها مني، كتمت أنفاسي حتى تقترب أكثر فأكثر، كانت تلتفت حولها بذعر وقالت بصوت مرتجف:

- أين أنت؟ أعلم أنك مصاب بشدة.. لكن تأكد أنك لن تفلت من يدي، أوشك وقتك في هذه الحياة على الانتهاء وعلى يدي أنا، الفتاة الضعيفة الضريرة.

اقتربت من موقعي أكثر، وكانت لا تشعر بي، وفجأة أمسكت بقدمها بقوة فعرقلت حركتها وسقطت على الأرض بجواري، جذبتها إليّ وأمسكتها بقوة من عنقها وأحكمت قبضتي عليها، صرخت بشدة وحاولت الإفلات، ولكن رغم إصابتي الشديدة كنت أقوى منها.

ضحكتُ بصوت هستيري قائلًا:

- أتظنين أيتها الفتاة الضعيفة أنكِ تستطيعين القضاء عليّ أنا! أنتِ تتوهمين ذلك، ستموتين في الحال، بكلتا يدي، وسوف أنجو وحدي من هنا.

حاولت التفوه ببعض الكلمات، خرجت منها متقطعة وهي تبكي قائلة:

- لماذا.... فعلت كل.. هذا؟ كلبي الصغير.... ما ذنبه! مروان شك بأمرك عند انقطاع التيار وهمس لنا بالاختباء حتى يستطيع القضاء عليك ولكنك من قضى عليه، تسللت من خلفك بالأعلى ولم أستطع تحذير سهير لتقع بقبضتك أيها القذر.

- كلبك الصغير المزعج هذا، هو سبب فشل كل خطتي، هو من وجد جثة أبي، هاهاهاها.. نعم إنها جثة أبي لقد قتلته هنا منذ سنوات، كنت أكرهه بشدة بعد إلحاق العار بنا، وماتت أمي بحسرتها، ظهر في حياتي فجأة وأنا بالجامعة، كان يريد العيش معي وطلب مسامحته، وافقته على ذلك، وطلبت منه المكوث في هذا المنزل بعيدًا عن الجميع وكنت أقوم بزيارته من حين لآخر، وفي يومٍ ما طلب مني الذهاب معي إلى القاهرة، لشعوره بالملل والخوف وأصر على ذلك، لم أشعر بنفسي إلا وأنا أدس له سم الفئران القوي في الطعام..... مات أبي ودفنته هناك، شعرت بالراحة وقتها، انتقمت منه أخيرا... ولكن كلبك اللعين وجده مجددًا وأثار شكوكم جميعا.

تعالت ضحكاتي مجددًا"

- أتدرين، لقد وضعت له نفس السم بالحليب ليموت هو أيضًا، هاهاهاها إنه نفس الحليب الذي شربت منه سهير منذ قليل، لم

يبق سواكِ، كيف استطعتِ الاختباء هكذا وأنتِ الوحيدة الضريرة بينهم، كيف أيتها المشاغبة الصغيرة؟!

كادت أنفاس ماريان تنقطع، وفجأة تهشم باب المنزل بفعل أحدهم وسقط علي، فغبت عن الوعي وظننت أنني مت في تلك اللحظة.

*****

الصدمة

لم تكن تلك النهاية، ما زلت على قيد الحياة، فتحت عيني بهدوء، لأجدني في أحد المستشفيات، يكاد يكون جسدي ملفوفًا بالكامل بالشاش والجبس، أشعر بالعطش الشديد، ونظرت حولي بدهشة، من الذي حطم الباب، ومن أقلني إلى هنا، حاولت الصياح ليأتي أحدهم ولكن صوتي ضعيف من شدة الإعياء.

بعد لحظات دخلت الممرضة وفي يدها الكثير من الأدوية، نظرت إليّ فوجدت عيني مفتوحة تحملق بها... أسرعت إلى الخارج لتبلغ أحدهم.. بعد قليل دخل الطبيب المعالج وسألني:

- أتستطيع التحدث يا يونس؟! يريد المحقق استجوابك، وينتظر كل يوم إفاقتك، أومأت برأسي لطلب حضوره.

- حسنا سأتركك ترتاح قليلًا اليوم، لتكون لديك قدرة أكبر غدًا على التحدث.. اعتنِ به أيتها الممرضة وحاولي إطعامه ببعض السوائل وشرب عصائر، لقد عاش على المحلول فقط طوال هذا الأسبوع.

أدركت أنه مر على وجودي هناك سبعة أيام، ابتسمت متذكرًا السبع الموبقات، لم أكن أتوقع تلك النهاية أبدًا، وما زلت لا أستوعب ما حدث حتى الآن.

مرت عدة ساعات، كنت أشعر فيها بالتحسن النسبي بعد الطعام والعصائر، تركتني الممرضة لأرتاح، ولمحت خارج الباب أحد الحراس، حتى لا أستطيع الهروب، وكيف أهرب بجسدي المحطم هذا!

أغمضت عيني محاولا النوم، وفجأة سمعت صوت مقبض الباب يتحرك، فتح الباب بهدوء وتسلل الضوء بالخارج داخل الغرفة، كان الحارس يغفو على مقعده ولا يشعر بأي شيء.

دخل شخص ما الغرفة، لم أستطع رفع رأسي لأنظر إليه، فاقترب مني حتى أراه.

- من.... دكتور وليد؟!

كان هو.. دكتور وليد.. أتتذكرونه.. زميلي بالمشفى.. اقترب مني بعيون شامتة يملأها الحقد والكره والغضب.. قائلا:

- فاجأتك صحيح، أنا أيضًا تفاجأت بكل ما حدث.

همس في أذني بسخرية:

- أتدري أنا من أبلغت الشرطة عنك هاهاهاها.. أنا ما توصل لحقيقتك..

- أنت يا دكتور وليد؟! وأي حقيقة تتحدث عنها؟!

- حقيقة الطبيب السفاح، عندما تقدمت باستقالتك، كان من المفترض أن أتولى حالاتك الست بالمشفى، ولكنهم اختفوا أيضًا في نفس اليوم، رصدتهم الكاميرات وهم يتسللون الواحد تلو الآخر ولكن لم

ترصد أين ذهبوا جميعا.. سألت عنهم وبحثت في كل مكان دون جدوى.. عدت إلى المشفى خائب الأمل ولكن ظني ما زال يتلاعب بعقلي، دخلت إلى مكتبك بالمشفى، لعلني أعثر على أي دليل، وبحثت في ملفات المرضى وقرأتهم جميعا ولكن لم أتوصل لشيء مفيد، وبينما كنت أقوم بإعادة الملفات في مكانها بالمكتب وجدت روشتة تبدو قديمة ومتهالكة، أتتذكرها؟!

حملقت في وجهه بدهشة، فعاود حديثه بسخرية.

- يبدو أنك تذكرتها، روشتة باسمك كتبها طبيب أمراض نفسية مثلنا منذ سنوات وأنت شاب مراهق، كانت تحتوي على دواء خاص بحالات الفصام، أدركت أنك لست بشخص طبيعي، وأصبح شكي أقرب إلى الحقيقة... أخذت الروشتة وسجلت العنوان ورقم الهاتف وتوجهت إلى مكان العيادة... كان هناك طبيب في مثل عمرنا وسألته عن اسم الطبيب المسجل على الروشتة، كان هو والده وقد توارث مهنته وتولى شئون العيادة بعد وفاته، أخبرته عن اسمك وحالتك وتاريخ الروشتة، وطلبت منه مساعدتي للضرورة، وبالفعل أخبرني أنه يحتفظ بأرشيف خاص بكل حالات أبيه وبعضهم أكمل علاجه معه ويستمر حتى الآن.... وضع ملفك بين يدي، الطالب يونس.. شاب أصابه الاكتئاب الحاد نتيجة عقد متراكمة منذ صغره بسبب والده، كان انطوائيًّا ومنعزلًا ويميل إلى العنف والقسوة أحيانا، حاولت والدته السيطرة على سلوكه دون جدوى، فتوفت بحسرتها نتيجة لمعاملة

ولدها الوحيد السيئة والمهينة لها، حتى إنه حاول قتلها ذات مرة، تدهورت حالته ودخل دار رعاية نفسية، وتم تشخيص حالته بالفصام نظرا لإلحاق الأذى ببعض الحالات في الدار دون أن يتذكر، كان يسمع أصواتًا غريبة لا يسمعها غيره، كان يرى أشباحًا وخيالات تجعله في حالة من الذعر لا يفيق منها إلا بعد ساعات، الملف يتضمن أشعة مقطعية على المخ نظرا لشك الأطباء في وجود خلل في المخ أو ورم أدى إلى ذلك، ولكن لم يكن هناك شيء، حتى التحاليل الخاصة بأمراض وراثية مزمنة كانت نظيفة، ولذلك التشخيص خاص بخلل نفسي فقط لا غير...

صرختُ في وجهه ليكف عن الحديث ولكنه لم ينصت لي وكأنه ينتقم مني دون أن أفعل به أي شيء.

- لن أتوقف يا يونس، تحسنت حالتك على يد الطبيب وكان عليك مواصلة تناول العقار الخاص بهذا المرض.. وحالتك جعلت لديك الحافز لتصبح طبيبًا نفسيًّا ومحوت كل ما هو خاص بماضيك وكشفتك تلك الورقة العتيقة، أبلغت الشرطة بعد التحقق من إخفاء مرضك وبعد التحقق من كاميرات الشوارع الجانبية الموجودة حول المشفى، ورصدت ركوب الست حالات بها في ساعة متأخرة من الليل، كانت سيارة مختلفة عن التي تمتلكها وأكدت للشرطة أن هناك أمرًا مريبًا سيحدث لهؤلاء إذا لم نعثر عليهم، تتبعوا تحركات تلك السيارة بعدة كاميرات على الطرق والكمائن وثبت انحصارها في تلك المنطقة النائية

ولكن كان وصولنا متأخرًا جدًّا، فلم نستطع إنقاذ حياة هؤلاء الأبرياء، فقط حالة واحدة هي التي ما زالت على قيد الحياة.

- ماريان!

- نعم ماريان، اختبأت منك على الرغم من أنها كفيفة وانقطاع التيار أو وجوده لم يشكل فارقًا لديها ففي الحالتين لا ترى، ولكن تسمع بدقة وتشعر بقوة وهذا ما جعلها تقاوم وتحبس أنفاسها.

- أين هي؟!

- لماذا؟ لتقضي عليها! إنها في مشفى آخر، تحت رعاية طبية عالية، لقد أصيبت بكسر في يدها نتيجة سقوط الباب عليكما، وأيضًا بعض الجروح في وجهها، ناهيك عن حالتها النفسية المحطمة بالكامل بسبب أفعالك الشيطانية...

صحت فيه بقوة ليصمت ويخرج من الغرفة، وظل يضحك ساخرًا مني حتى سمعني الحارس بالخارج، أسرع إلينا وأمسك به حتى يخرج من غرفتي، شعرت بصداع كاد يفجر رأسي، تساقطت دموعي على وجهي بغزارة وكانت تسفعني كاللهب، غبت عن الوعي مجددا، وبعد عدة أيام أخرى عدت إلى الحياة ويا ليتني لم أعد، نقلوني من المشفى تحت حراسة مشددة إلى قسم الشرطة للتحقيق معي، كنت أتحرك على كرسي لوجود أربطة على قدمي فلم تتعافَ بعد... وضعوني أمام مكتب وكيل النيابة، كان ينظر إلي بغضب نظرات حادة وكأنه يتمنى قتلي في الحال.. بدأ في توجيه الاتهامات لي.

بعد تسجيل اسمي وسني وكامل بياناتي قال:

- المدعو يونس، ارتكب عدة جرائم متتالية، وجميع الأدلة والتحريات أثبتت ذلك، وعند مداهمة منزله، الكائن بمنطقة نائية بالساحل الشمالي، تبين أن:

أولا: حجْز ستة أفراد من المرضى تحت التهديد والوعيد دون علم أحد من المشفى.

ثانيا: قتْل والده وإخفاء الجثة بنفس المكان منذ سنوات وهذا باعترافه لإحدى الضحايا وقد تأكد ذلك من تحليل الحمض النووي للهيكل العظمي.

ثالثا: قتْل المجني عليها ياسمين بعد اغتصابها وذلك بخنقها ثم دفنها في نفس مكان جثة والده.

رابعا: قتْل المجني عليه مجاهد بمداهمته في أثناء نومه بسكين حاد وذبحه بطريقة وحشية.

خامسا: قتل المجني عليه حامد وطعنه بسيخ مدفأة في صدره بعد تخديره بمخدر يحتفظ به في حجرة الطعام وقد قمنا بالتحفظ عليه وفعل ذلك خوفا من مقاومته وحتى لا يقوم بإصدار أي صوت ليبث الرعب والشك في قلوب الآخرين.

سادسا: قتل الشاب مروان وتمزيقه بطريقة وحشية إربا لشدة غضبه منه عند محاولته الهروب ومقاومة الجاني بتسديد عدة لكمات

في وجهه ولكنه استطاع الإمساك به وإخفاء المفتاح وفي أثناء مقاومة مروان وصعوده لأعلى الدرج انقض عليه الجاني وسقط مروان إلى الأسفل وعرقل حركة الجاني فقام بكسر قدمه ثم عاود الجاني هجومه وقام بضربه بقسوة حتى فقد الوعي ثم جذبه داخل حجرة الطعام وقام بتقطيعه بساطور حاد في نفس المكان، ثم قام بجذب جثة حامد لنفس المكان حتى يعثر على الفتيات.

سابعا: قتل السيدة سهير بإجبارها على شرب كوب من الحليب المسموم وعدم تركها حتى تأكد من أنها لفظت أنفاسها الأخيرة.

ثامنا: محاولة قتل المجني عليها ماريان وإلحاق الضرر البدني والنفسي بها وقتل كلبها الصغير بعد اكتشافه لمكان جثة والده.

تاسعا: انتهاك مهنته كطبيب نفسي واستغلالها لإشباع رغباته الشيطانية وعقده السابقة.

إذًا يا يونس ما أقوالك فيما هو منسوب إليك.

- لن أتحدث.

- لا تريد الاعتراف! كل الأدلة ضدك وثبت بالفعل ارتكابك لكل تلك الجرائم، فما الدافع؟!

- لن أتحدث.

- أتريد توكيل محامٍ لينوب عنك في الحديث، ليس لدينا مانع فإنه حقك القانوني.

- لا أريد.

- حسنا الإنكار لن يفيدك في شيء، لقد أردت استجوابك فقط لأحول القضية لمحكمة الجنايات لتنظر فيها، وصمتك لا يجدي.

سأغلق المحضر على هذا بإثبات كل التهم وكل الدلائل، والتزم الصمت كيفما شئت، هيا خذوه من أمامي، ألقوا به في الحبس الانفرادي، لا أطيق رؤيته.

وبالفعل دخلت الحبس الانفرادي ورأيت مصيري وقتها، وأصبحت القضية، قضية رأي عام هزت الشارع المصري وأطلقوا علي اسم (الطبيب السفاح).

طالب الجميع بتوقيع أقصى العقوبة علي، وهي الإعدام في ميدان عام، مظاهرات، وصفحات باسمي على جميع وسائل التواصل الاجتماعي تطالب بحق المرضى جميعا.

وجاء اليوم المنتظر، لحظة المحاكمة ونطق الحكم، كنت أقف داخل قفص حديدي، وكانت القاعة متكدسة بأعداد مهولة من الأشخاص والمدعيين والصحفيين والمستشارين، وأعداد أخرى كبيرة تقف بالخارج منتظرة لحظة النطق بالحكم..

الجميع يسب ويلعن فيّ والبعض يبصق في وجهي، وما زلت في حالة من الصمت التام.

*****

النهاية

صاح الحاجب: محكمة.

حالة من الصمت في القاعة، حتى تحدث القاضي، وأشار بجميع التهم الموجهة إليّ، وثبوت جميع الأدلة ضدي، وعدم الأخذ بكوني أعاني من مرض الفصام نظرا لخطورتي على المجتمع، والتعامل معي بكوني شخصًا سليم العقل، وكل وقائع القتل حدثت بترتيب مع سبق الإصرار والترصد.

وبعد انتهاء أقوال المدعي العام ومطالبته بتوقيع أقصى العقوبة، وقبل النطق بالحكم الأخير، نظر إليّ القاضي قائلًا:

- أتريد التحدث بأي شيء الآن يا يونس، أم ستستمر في حالة الصمت؟!

نظرت إلى جميع الحضور بالقاعة وكان من بينهم الفتاة الضريرة (ماريان) ثم أومأت برأسي لأتحدث:

- نعم سيادة القاضي لدي ما أقوله، أعترف بأنني قمت بفعل كل تلك الجرائم المنسوبة إليّ، ولكن لم أكن أرتب أو أنوي فعل كل ذلك، كان الأمر مختلفًا في البداية، لقد تعلمت ونضجت وعشت مهووسًا بالفلاسفة العظام الذين كنت أقرأ عنهم، ست حالات من المرضى الذين يعانون من الاكتئاب الحاد والذي أدى بهم إلى الانعزال وانعدام الثقة

في الآخرين بل ومحاولة الانتحار، تقربت من هؤلاء المرضى بشكل شخصي ونويت مساعدتهم على أنهم جزء من عائلتي التي لم أعهدها من قبل، فلقد مررت بنفس تجربتهم وشعرت بمعاناتهم وطريقة علاجهم الوحيدة ستكون هي نفسها طريقة علاجي لعلنا نشفى معًا.

اعترض ممثل الادعاء على حديثي مؤكدًا محاولتي للتضليل والتبرير ولكن توسلت إلى القاضي لأكمل حديثي فسمح لي بالمتابعة.

- نحن سبعة أشخاص، بسبع قصص معقدة أدت إلى انهيارنا، ارتكب ضدنا الكبائر وهي (السبع الموبقات) وفرصة نجاتنا من هذا الاكتئاب ضعيفة، فكرت في نظرية أفلاطون الخاصة ببناء ما يسمى (بالمدينة الفاضلة) حياة تخصنا وحدنا، دون الاحتكاك ببقية العالم والابتعاد عن كل وسائل التواصل المزعجة، أردت تحقيق حلم الفلاسفة وتحقيق طريقة للعلاج لمثل تلك الحالات ولكن بصورة مختلفة، وتحمست للفكرة وعرضتها عليهم، ووافقوا على اصطحابهم إلى مدينتي الفاضلة وهي منزلي بالساحل الشمالي، فجأة انقلب حال الجميع، بداية من شك ياسمين بي وكانت هي أقربهم لقلبي، لأول مرة كنت أشعر بالانجذاب لأحدهم، ولكن تهديدها الدائم بالرحيل بعيدًا عني جعلني كالمجنون، سرقت مفتاح سيارتي في أثناء نومي، وتوجهت مسرعة إلى المرآب ولكنني شعرت بها وهي تغلق باب غرفتي وتتبعتها إلى هناك، حاولت الهروب بسيارتي ولكنني داهمتها بداخلها وأغراني وجودها بين يدي في مكان بعيد عن الآخرين فلم أشعر بالتعدي عليها

إلا بعد أن انتهيت، صاحت وأقسمت على فضح أمري للجميع وأنها ستنشر فعلتي في كل أنحاء العالم، وأنا لا أطيق سماع لفظ الفضيحة منذ واقعة الفضيحة التي لحقها أبي بنا، خنقتها بإيشاربٍ كانت تضعه على رأسها، وفكرت فيما قد يحدث بعد ذلك، أردت إثارة شكهم في بعضهم البعض، حتى يثقوا فيّ جميعًا، ونظرا لفشل خطتي في تحقيق فكرة المدينة الفاضلة، فكرت في تحقيقه ولكن بشكل مختلف، أردت شفاءهم الذي بدا ميؤوسًا منه، مثل هؤلاء لن يستطيعوا العيش مرة أخرى بين المجتمع، سيحملون بداخلهم دوما مرارة الغدر والخذلان وعدم الثقة، والانتحار يسلبهم نعيم الدنيا ونعيم الآخرة لارتكابهم خطيئة من الكبائر....

نظرت إلى ماريان بحزن، فكانت تبكي وترتجف...ثم تابعت حديثي..

سمعتم من قبل عن الموت الرحيم؟!

ما فعلته شبيه به، سيحققون رغبتهم بالموت والخلاص من عذابهم ومرضهم دون ارتكاب أي معصية، دون التفريط في نعيم الجنة، سيرحلون ولكن على يد شخصٍ آخر وهو أنا..

لقد منحتهم تلك الراحة الأبدية، لم أستطع تكوين مدينة فاضلة على أرض الواقع فأرسلتهم إلى المدينة الفاضلة الحقيقية وهي هناك حيث تتلاقى أرواح المعذبين في الدنيا، هناك في الأعلى مدينة فاضلة

بلا خطيئة واحدة، لا يحكمها قوانين ولا شهوات البشر، هناك حيث الراحة والسكينة والصدق والعبادة...

لقد منحتهم كل ذلك وإن كنت سأدفع ثمن فعلتي غاليًا، قتلتهم رأفةً بحالهم وظننت أنه أيضًا نجاة لي من الفضيحة ولكن شاء القدر أن يحدث كل هذا، وإن كانت طريقة القتل عنيفة؛ هذا لأنني وقعت تحت ضغط عصبي ونفسي يفوق حد قدرتي....

قاطع حديثي أصوات صاخبة من الحضور، معترضين على كل ما ذكرته...

- أنا لا أبرر فعلتي، وأعلم أنها نهايتي على كل حال، ولكن أردت أن أخبركم أنني لست سفاحًا ولا شخصًا قاسي القلب يتعمد الإيذاء، أنا في البداية إنسان أصابه مرض مزمن ولا سبيل لشفائه، ضحية شخص آخر، أنا طبيب أردت النجاة لمرضاي، وساعدتهم للوصول إلى غايتهم، أنا إنسان يخطئ أحيانًا ويصيب أحيانًا.

حالة من الصمت وسؤال آخر وجهه القاضي إليّ: هل لديك شيء آخر لتقوله.

- لا... لن أتحدث أكثر من ذلك......

بعد الاطلاع على أوراق ومستندات الدعوى وبعد المداولة قانونا، حكمت المحكمة حضوريا وبإجماع الآراء بإحالة أوراق الدعوى إلى فضيلة مفتي ديار الجمهورية لإبداء الرأي.........

رفعت الجلسة...............

تلك آخر ورقة سأخطها بيدي أيها القارئ، أردت أن أخبركم بقصتي، لا أدري ما وجه الاستفادة منها، ولكن لعلك تستطيع الوصول والتكهن بشخصية يونس الحقيقية، لعلني أردت تحذيرك من المرض النفسي، من العزلة، الاكتئاب، الابتعاد عن الأطباء النفسيين إلا في حالة الضرورة.

أردت أن أخبرك وقع الصدمة على أحدهم قد تؤدي به إلى الموت، الضياع، اليأس....

تلك قصص وحكايا خاصة بسبعة أشخاص فقط، فماذا عن ملايين المحبطين والمكتئبين، إذا صادفت أحدًا منهم، أوصيك بهم،

فقط رفقا بهؤلاء........

أغلقت أوراقي ونظرت إلى تلك الملابس الحمراء التي أرتديها منتظرًا نهايتي وتنفيذ الحكم، ثم يفتح أحدهم باب الزنزانة لتصدر

صريرًا قويًّا وكأنها صفارة لانتهاء المباراة، أدركت أنه الموت، أتى مع آخر سطرٍ خطه قلمي.

جذبني اثنان إلى الخارج، رواق طويل ومخيف تفوح منه رائحة الموت، توقفوا أمام باب حديدي أسود مكتوب عليه (غرفة تنفيذ الإعدام).

وقف أمامي شيخ يسألني، هل تريد شيئًا يا يونس؟

فكرت قليلًا ثم قلت بإلحاح: نعم أريد، أرجوك أريد رؤية ماريان للمرة الأخيرة، اسمح لي بذلك أتوسل إليك.

بعد لحظات جاءت ماريان، ووقفت أمامي بملامح وجه عابسٍ مشمئز ثم صاحت في وجهي: ماذا تريد مني؟ ظننت أنني تخلصت من وجهك الكريه.

- ماريان لن أطلب العفو والسماح منك لأنني أعلم كم الألم والغضب الذي يسكنكِ الآن ولكن تركت أوراقًا خاصة بمذكراتي وأردت أن تأخذيها وتنشريها حتى تكون عبرة لمن يعتبر.

- أنت إنسانٌ مريض، ما العبرة في قصتك الشيطانية تلك؟!

- صدقيني ستكون عبرةً لأحدهم، ستكون رسالة لأشخاص معينة أولهم أنتِ.

- أنا؟!!

- نعم... رجاءً افعلي ما طلبته وقومي بنشرها تحت أي مسمى تجدينه مناسبًا، وكوني أنتِ بطلة قصتي، الناجِي الوحيد....

جذبني أحدهم بشدةٍ ثم وقفت مرةً أخرى أمام الشيخ لترديد الشهادة.

(أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) ....

رحل دكتور يونس، الطبيب السفاح، تاركًا لي مذكراته المخيفة ولا أدري ماذا أفعل بها!

أيعقل أن تكون تلك الرواية رسالة مهمة لأحدهم، ولِمَ لا؟ قد تكون هكذا لأنني أول من استفاد منها... نعم استفدت كثيرًا منها......

أنا ماريان.. فتاةٌ تبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا، كنت ضحية الغدر والخيانة، والعالم من بعدها أصبح مجرد ظلام، بسبب إصابتي بالعمى في عيني والعيش في ظلام قلبي الذي أصبح كالأعمى في رؤية المحيطين به...

أنا ماريان ضحية من ضحايا الدكتور يونس، رأيت الموت في كل المحيطين بي بسبب قلة حيلتهم وضعفهم لكونهم مجرد مرضى ميؤوس منهم، ولكنني نجوت رغم إصابتي، وخلف نجاتي رسالة....

تعلمت مما حدث القوة، الثبات، المواجهة، لقد واجهت الموت أمام يونس رغم ضعفي واستطعت النجاة، إن كنت مريضة بالفعل

وزهدت الحياة، فلماذا دافعت عن نفسي وحياتي خوفا من الموت... وجدت نفسي أرغب في البقاء والجميع أراد ذلك ولكن لم يتسنَّ لهم النجاة، ومعنى أن يتعلق شخص بالحياة رغم ألمه، أن هناك بصيصًا من الأمل قد يغير حياته وبالفعل.. قاومت وتبدلت.. وأصبحت أقوى، رفعت دعوى ضد أخي وزوجته لاسترداد حقي في الميراث، بشهادة موثقة من دكتور وليد، الطبيب النفسي، شهد بسلامة قواي العقلية وأقر بذلك هو وعدد من أصدقائه...

وشهد بصفي كل من الأسقف الذي ساعدني على الشفاء، وتريز التي لم تتركني إلا بعد المعافاة، سجن أخي وزوجته، لأفعال أخرى من نصب وسرقة بتحريض من زوجته واستعدت من جديد طفلي الغالي كيرلس واعتنيت به بمساعدة تريز المخلصة، ثم سافرت إلى الخارج وكانت تلك المفاجئة الكبرى، استعدت نظري من جديد، عدت للحياة، عاد النور لقلبي، وبدأت رؤية كل ما حولي بشكل مختلف..

حاول خطيبي السابق العودة لي مرة أخرى ولكنني بالطبع رفضت.

فمن يتركنا والقلب محطم، لا مرحبا به والقلب عمار.

حسنا والآن الرواية بين يدي أصبحت شبه مكتملة وأعتقد أنها نهاية مرضية للجميع ولكن أريد ذكر وتدوين شيء أخير خاص بك أنت أيها القارئ...

لا تكتئب، فقد تكون أنت التالي.. ولا تجد مفرًّا سوى الخلاص من هذه الدنيا..

لا تجد أي أمل سوى في المدينة الفاضلة، في عالم بلا خطايا..

قد يكمن شخص دكتور يونس في نفسك، أو قد يكون هو مجرد شخص بجوارك تظن أنه يمد إليك يد النجاة والمساعدة والحقيقة أنه يفعل ذلك ليجذبك إلى قاع البئر، إلى الظلام.

لا تسمح لنفسك بذلك أبدًا، ولا تسمح لغيرك بالتحكم في مصيرك

كن أنت رقيب نفسك، طبيب نفسك، دواء نفسك، طاقة النور لنفسك

اجعل من قلبك تلك المدينة (المدينة الفاضلة)

اجعل منه عالمًا خاص بك (عالم بلا خطايا)

الدنيا ما هي إلا ألم وتجارب واختبارات...

فإما الرسوب والعرقلة وإما النجاح والمضي إلى الأمام مهما واجهت وتحطمت

لا تقف على عتبة أحدهم، لا تنتظر شيئًا من أحدهم

فقط واصل السير... وستصل حتما إلى مبتغاك ولو بعد حين.

*****

المحتويات

انتحار شرعي